أنيس منصور

لعنة الفراعنة

دار الشروق

لعنة الفراعنة
و
شئ وراء العقل

الطبعة الثانية عشرة
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م
الطبعة الثالثة عشرة
١٤١٤هـ-١٩٩٣م
الطبعة الرابعة عشرة
١٤١٦هـ-١٩٩٥م
الطبعة الخامسة عشرة
١٤٢٠هـ-١٩٩٩م
الطبعة السادسة عشرة
١٤٢٢هـ-٢٠٠١م
الطبعة السابعة عشرة
١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى
رابعة العدوية - مدينة نصر - ص . ب : ٣٣ البانوراما
تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكترونى: email. dar@shorouk com

أنيس منصور

لعنة الفراعنة
و
شئ وراء العقل

دار الشروق

مقدمة

كنت فى هونج كونج . وصلت متأخراً من أستراليا . لا أعرف أحداً ولا أنتظر أحداً . وكل ما أعرفه عن هذه الجزيرة هو ما قرأت عنها . وفى جيبى ورقة عليها اسم أحد الفنادق . ذهبت إليه وسألت إن كانت لى غرفة . فقيل : لالا . . فتساءلت : كيف . لقد حجزت غرفة من أستراليا . وجاءنى الرد بأن الغرفة فى انتظارى . وقد جئت بعد موعدى بساعتين فقط . .

لا توجد غرفة .

هل تنصحون بأن أذهب إلى فندق آخر تعرفونه . . أو تربطكم به صلة عمل . امتدت الأيدى الصينية القصيرة تشير إلى فندق على الناحية الأخرى من الشارع . . اتجهت إلى حيث كلمة «فندق» . . وصعدت السلم . وأشاروا إلى غرفة مفتوحة . ودخلت . وألقيت متاعى . وارتميت على السرير . ونمت . وعند منتصف الليل صحوت على ضوضاء كثيرة وعلى باب غرفتى الذى انفتح . وقد رأيت كلباً صغيراً نائماً على حقيبتى . إنه يشبه الكلاب الفرعونية التى فى حراسة المعابد . . أو فى حراسة الروح فى طريقها من الأرض إلى السماء .

ولم أصدق أن الذى أراه حقيقة . . وإنما تخيلت أننى أحلم . . فاستدرت لأكمل النوم لولا أننى أدركت أنى قد صحوت من النوم فعلاً . ولم أجد الكلب . وضحكت . ونظرت فى الساعة ووجدت الليل قد انتصف . ونهضت وأقفلت الباب . ثم عدت أفتحه وأخرج لأسأل عن اسم الفندق الذى نزلت به .

وعرفت من وجه موظفى استعلامات الفندق أن هذا ليس فندقاً بالمعنى المألوف . . ولا هو كباريه خاص . . وإنما هو فندق يعمل لحساب أحد الكباريهات وأن الرجل تحت أمرى . . وكل ما أفعله هو أن أشير بأصبعى لأختار ما يعجبنى من أى شىء . .

آه . فهمت . .

ودفعت أجر المبيت . وسألته إن كان يعرف أحد الفنادق . فهز رأسه أن إحدى قريباته تعمل فى فندق مجاور . وذهبت وعرفت اسم الفندق . ووجدت أن اسمه « فندق كارترفون » ـ وكارترفون هذا هو اسم الرجل الذى اكتشف مقبرة توت عنخ آمون . . إنجليزى وهونج كونج هذه مستعمرة بريطانية . . فهذا الفندق له صلة بمصر . فأنا لست بعيداً عن مصر . . صحيح إن طريقى إلى مصر ما يزال طويلاً . . فبعد هونج كونج سأسافر إلى اليابان ومنها إلى جزر هاواى ثم إلى أمريكا ثم إلى أوربا ثم إلى مصر لأكمل رحلتى التى استغرقت ٢٠٠ يوم حول العالم بلا توقف . . ولكن هذا الفندق له اسم قريب من مصر . . أو هو قريب من مصر . .

ودخلت الغرفة وأقفلت الباب بالمفتاح . . فهذه جزيرة الخطف والنصب والاحتيال والغموض ـ وكل الأقلام تؤكد ذلك . . ولا أعرف كيف جاء النوم

بسرعة ولكنه جاء . ومعه الكثير من الراحة التامة بجسمي ونفسي لولا أنني لاحظت نوعاً من البرد الخفيف بدأ يلسع أنفي . وواجهته بما يستحقه من الأسبرين والفيتامنيات . . واختفت هذه اللسعة من الأنف والحلق . وحمدت اللّه أنه لا الزكام ولا اللصوص تسللوا إلى غرفتى . . وضحكت من فكرة أن يتسلل اللصوص إلى غرفتى . . ولو فعلوا لخاب أملهم تماماً فليس عندى ما يغرى أحداً بأن يسرق شيئاً . لا شىء . ولو كان عندى شىء ما سافرت هذه المسافات الطويلة . فكل ما معى من فلوس أحوله بسرعة إلى تذاكر طائرات . .

ومضى يومان . وفى اليوم الثالث ركبت الطائرة إلى طوكيو . وفى الطائرة زارتنى فكرة مقلقة . لقد تذكرت أن حقيبتى ربما لم تكن هى . . ربما هى حقيبة مشابهة ولاأعرف كيف جاءتنى هذه الفكرة وأنا فوق السحاب . . هل جاء ذلك بسبب أن الطائرة قد دخلت منطقة إعصار . . مركز إعصار عنيف اسمه « دينا » ولذلك أخذت تهتز بعنف وتهبط وتعلو والناس الصينيون واليابانيون من حولى ازدادوا اصفراراً . . ولكن انشغلت بهذه الفكرة من كل لون السحب الذى يتكوم على شكل رغاوى الصابون . . ثم رغاوى الجير . . ثم تنفجر السحب على شكل برق وحرائق خارج الطائرة . وفزع وصراخ داخل الطائرة . . ولكن هذه الفكرة جاءتنى مثل طوق نجاه فقد تعلقت بهذه الفكرة واستغرقتنى تماماً. فلم أعد أفكر فى هذا الذى يحترق خارج الطائرة . . وفجأة أدركت أن هذه الفكرة تشبه طوق نجاة من المطاط وقد امتلأ بالبنزين . . وأنه لن يمضى وقت طويل حتى ينفجر طوق النجاة . . ولا نجاة !

شىء غريب . . ثم تذكرت الكلب الذى نام على حقيبتى . صور

غريبةمتتابعة . أو هلوسة متواصلة . ونظرت إلى الطعام أمامى والشراب . ولم أجد أية علاقة بين هذا الهذيان وبين الطعام .

وفى مطار طوكيو تأكدت أن هذه الحقيبة ليست لى . إنها شبيهه بها تماماً . وأمام موظفى الجمارك فتحت الحقيبة . ووجدت أنها قد امتلأت بملابس الأطفال الصغيرة . وقبل أن أفتح فمى بكلمة ، أقفل موظف الجمرك الحقيبة وأشار أن أحملها وحملتها إلى خارج المطار . وفى فندق « دايتشى » بطوكيو فتحتها لأجدها قد امتلأت بملابس أطفال وأحذيتهم . . ومعنى ذلك أننى الآن فى طوكيو بلا منديل ولا جورب ولا بيجاما ولا موس حلاقة ولا كتب ولا مذكرات !

وكل ما جاء فى رأسى : أنها صدفة سخيفة . . ومقلب غير مقصود . . وبضعة مئات من الدولارات أشترى بها بعض الملابس ، وكما هى عادتى ، فإننى ألقى بالملابس فى الطريق بعد استخدامها بعض الوقت حتى تكون حقيبتى خفيفة . ـ إنها عادة سيئة ! فأنا أكره أن تكون الحقيبة خالية من الكتب أو مليئة بالملابس !

وفى نهاية رحلتى ذهبت إلى إيطاليا سعيداً بالراحة الهانئة التى سوف أحصل عليها : فقط أن أرتمى على أى فراش وأغلق الباب والشباك وأنام . . فقط أن أنام . فقد تعبت من السفر أكثر من ٢٢٣ يوماً حول الكرة الأرضية بلا توقف . واخترت من المدن الإيطالية مدينة رابالو على الريفيرا الإيطالية . المدينة جميلة أنيقة رشيقة . هادئة . وأكثر سياحها من الإنجليز والألمان . وفى القطار وجدت اسم فندق صغير «توتى توت » . . اسم عجيب . ولكن أسعار معقولة . وذهبت إليه . ووجدت صاحبة الفندق سيدة ضخمة . وجدتها

ضاحكة من غير مناسبة ، ككل الإيطاليين . فقالت : آه جائع !

قلت : جدًّا

قالت : من أين ؟

قلت : من أمريكا

قالت : أنت أمريكى . . لا أظن ذلك !

قلت : قادم من أمريكا . . أنا مصرى . .

قالت : إذن أنت جائع جدًّا . .

قلت : جائع إلى النوم . فى عرضك . . أية غرفة . وأقفلها بالمسامير . . تماماً كأنك تضعينني فى تابوت . . كأى ميت فرعونى .

ولم تتوقف السيدة عن الضحك . .

وفى الصباح عرفت أن الفندق اسمه « توت عنخ آمون » . ولكن على طريقة الإيطاليين فى تدليل الأسماء جعلوا اسمه « توتى ـ توت » أى كل شىء لتوت عنخ آمون . .

صدفة غريبة . أن أنزل فى فندق مكتشف توت عنخ آمون فى هونج كونج . . ثم فى فندق يحمل اسم جلالته على الريفيرا الإيطالية .

وتضايقت من إحساسى بأننى مشتاق تماماً إلى مصر بهذه السرعة . . أو إلى أى شىء له صلة بمصر . فكل الذى يهمنى هو أن أنام بعض الوقت قبل أن أعود إلى مصر . . بعض الوقت !

وأنا لا أعرف السباحة . .

وركبت زورقاً مع بعض الأصدقاء . واهتز الزورق وسقطت فى الماء . . فى نفس المكان الذى غرق فيه الشاعر الإنجليزى شيللى . . ولم يكن الماء عميقاً . ولا أعرف كيف غـرق الشاعر لابد أنه كـان مخموراً . . وعندما أخرجـونى من الماء اصطدمـت ذراعى بـالزورق فنزف دمـى . . وعدت إلى الفنـدق مجروحاً مزكوما . .

وحان موعد السفر . .

ولا أعرف بالضبط ما الذى حدث لقد اشتعلت النار فى غرفتى . . كيف؟ واحترقت الستائر . . وحقيبتى . ولقيت كل الغرفة كما هى . وجاءت صاحبة الفندق لتضرب كفًا بكف وتقول : كيف ؟

فقلت : لا أعرف . . ولكن الجدران لم يصيبها شىء . . ولا الفراش . . ولا السرير . . ولا ورق الصحف . . ولا أثر لكهرباء فى الجدار الخشبى . .

ولم أفكر طويلاً . فقد كنت مشغولاً بالسفر إلى روما . . وكلها بضعة أيام وأعود إلى مصر . . وفى القطار فتحت حقيبتى لأصرخ : إنها ليست حقيبتى !

وكان القطار قد تحرك . .

فقط هنا خطر لى أنها « لعبة » الفراعنـة . . أو « لعنة الفراعنة » . ولم أكن أعرف فى ذلك الـوقت ما الذى كنا نقصـده عندما نذكـر هذا التعبير ؟ أى ما الذى يحدث لأى إنسان عندما يكون له أية صلـة بالفراعنة ؟ ثم ما هى صلتى بالفراعنـة ؟ وهل حدث نفس الشىء لأصحـاب فندق هونج كـونج أو فندق راى يو . . ثم هـل حدث نفس الشىء لكل النزلاء ؟ أو أن الفـراعنة يخصون بمداعباتهم المصريين فقـط ؟ ثم من هـم هـؤلاء الفراعنة الذيـن يفعلون ذلك ؟

هل هـى أرواحهم تطارد الناس فى كـل مكان ؟ ثم مـا هى لعنة الفراعنـة التى أصابـت مصر فى كل العصور ، فنحـن فراعنـة ، ونعيش حول قبـورهـم وبين أرواحهم ؟

وتـذكرت أن هـذا التعبير « لعنـة الفراعنـة » لم يظهـر على الأقلام إلا بعـد اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون ! فقد مات جميع الذين عملوا فى حفر قبر توت عنخ آمون على أشكـال غريبة ـ أى كـان موتهم غريباً عجيبـاً . . حدث ذلك لجميع العمال والمهندسين والأثريين والأطباء ـ جميعا دون استثناء !

ولم يتنبه الـذين اكتشفوا المقبرة إلى تلـك العبارة المكتوبة عنـد مدخل غـرفة الملك والتى تقول : إن الموت يضرب بجنـاحيه السامين كـل من يعكـر صفو الملك !

فلم ينج أحد من ضربة هذين الجناحين . لا أحد . .

واختلف العلماء فى تفسير معنى اللعنة . .

ولاأظن أحداً قد استطاع ـ فى جو ورقـة علمية ـ أن يناقش قصة اللعنة كما فعل الكاتب الألمانى فيليب فاندنبرج فى كتـابه المشهور « لعنة الفراعنة » . فقد قرأ الكثير من الدراسات المعاصرة . وتعمقها . ثم عرضها فى عبارة جميلة .

وتساءل : هل اللعنة هى إشعاع ذرى أو استخـدام الفراعنة للمواد المشعة التى يتعرض لها كل من فتح المقبرة ؟

هل اللعنة نوع من الغازات السامـة تخرج من الأعشاب والخشب عند فتح المقبر ة ؟

هل هـى نوع مـن النظريـات تلاحـق كل مـن اكتشف المقبرة أو لعـب فى

الخشب ـ لقد حدث ذلك لإناس كثيرين . .

هل اللعنة مجرد صدفة ـ أى أن يموت الإنسان فى نفس الوقت الذى يجىء مع انحطاط حالة « الإيقاع الحيوى » وهى نظرية سوف نجدها فى الفصول التالية ؟

هل الخفافيش فى الدهاليز والمقابر لها دخل فيها يصيب الناس بالهذيان حتى الموت ؟ لقد حدث ذلك كثيراً جدًّا !

هل هذا خاص فقط بتوت عنخ آمون ، دون لعنة الفراعنة ؟

هل لصوص المقابر من الأجانب الذين ماتوا فى ظروف غامضة قد أصابهم التراب الذرى أو السم النباتى ؟

إذن كيف نفسر أنه حيث توجد مومياء فرعونية فى أى مكان فلا بد من كارثة تحل بهذا المكان . . إن أعظم باخرة أنشأها الإنسان واسمها تيتانيك اصطدمت بجبل من الجليد وغرقت ، لأن بها مومياء فرعونية مسروقة ؟

ثم ما هذا الذى أصاب العلماء والأطباء المصريين الواحد وراء الآخر ؟

ثم ما الذى ينتظر الأطباء والعلماء المصريين والفرنسيين الذين فتحوا مومياء رمسيس الثانى فى مصر وفى باريس ليعرفوا أسباب وفاته ، وإن كان هو فرعون الذى أخرج اليهود من مصر ؟ .

ثم إن عدداً كبيراً من العلماء يؤمن بأن هناك شيئاً ما « فى داخل الأهرام والمقابر الفرعونية جميعاً ، يضر بصحة الإنسان » . ولكن ما هو هذا « الشىء » لا أحد يعرف . . إن خروتشيف تلقى برقية من موسكو تحذره من دخول الهرم، ولم يدخل الهرم فى آخر لحظة . ولهذا السبب !

إن الفراعنـة لم تنته أسرارهم بعـد . إنهم تركوا الكثير فى كـل العلوم . إنهم اهتدوا إلى سر المادة وسر الكون . وفى استطاعتك أن تشبع رغبتك فى مزيد من المعرفة إذا رجعت إلى كتابين لى هما : الذيـن هبطوا من السماء والذين عادوا إلى السماء . . فقد عاودت منـاقشة هذه القضية الغريبة العجيبـة . وسوف تظل كـذلك إلى أن نعـرف لها تفسيراً علميـاً أو أكثـر من تفسير علمـى . المهـم أن تـدخل فى نطاق العلم الإنسانى

* * *

وفى نفس الـوقت الـذى يؤمن بعـض الباحثين بأن هنـاك قوة مـا ، خارج الإنسان تستطيـع أن تتسلط عليه . . أو توجهـه أو تحرك حياته ، فـإن عدداً آخـر يـرى أن القـوة هـذه فى أعماق الإنسـان . . ففـى داخـل الإنسـان كـل القوى . . بل إن الإنسان قادر على أن يجعل جسمـه أو عقله منيعاً لكل ما فى الـدنيا مـن توتـر . . وهـو قادر على أن يجعـل رأسـه محطة إذاعـة تتلقى كـل الأصوات فى هذا الكون ثم يعدلها لحسابه هـو . . فأنت أقوى جدًا مما تتصور . وتستطيع أن تجرب ذلك . .

فاللعنة الحقيقية إذن ألا نعرف ذلك . .

وفى نفس الوقت نجد اتجاهات دينية أمريكية تعود إلى قداسة الفراعنة . . وعبـادة الملك اخنـاتون . . أو أداء الصلـوات فى داخل الهرم . . أو النـوم فى داخل غرفة الملك خوفو ، واستحضار روحه . . وتكذيب ما يسميه المؤرخون باللعنة الفرعونية . .

ونظرية « آدم سميث » تقول : إن الإنسان هـو الهرم وهو الملك وهو الروح

الفرعونية القادرة على كل ما يريد الإنسان ، وكل ما اراد . .

وآراء واجتهادات كثيرة تساوى ما يبذله الإنسان فى فهمها أو محاولة ذلك إن الفراعنة لم تفسر كلماتهم بعد .

لقد ماتوا ولكن لعنة التفكير فيهم وفى حياتهم وأثرها فى حياتنا ، ما تزال قوية حية !

أنيس منصور

لعنة الفراعنة

لعنـــــة الفــراعنـــة :
طبيًا وكيميائيًا ما معناها ؟

هـل هى اللعنـة التـى تطـارد الناس ؟ أو هـل هـم الناس الذين يطـاردون اللعنة ؟ احتار العلماء فى تفسير هذه الظـاهرة العجيبـة . ولكن عالمًا ألمانيـا شابًا أعاد النظـر فى قضيـة هذا العصر وكـل العصـور ليفسر لنـا بالعقل وبالطب والكيمياء كيف أن أربعين عالمًا وباحثاً ماتـوا قبل الأوان . . والسبب هـو هذا الملـك الشاب توت عنخ آمون .

إن هذا الملك ليست لـه أية قيمة تاريخية . ربما لأنه كـان حاكماً تافهاً . . ربما لأنه كـان فى عصر ثورة مضـادة على الملك الإلـه أخناتـون أول من نـادى بالتـوحيد والـذى تزوج ابنتـه . . ولكن مـن المؤكد أن هـذا الملك الشـاب قد استمد أهميته الكبرى من أن مقبرته لم يمسها أحد من اللصوص . . فوصلت إلينا عبر ٣٥ قـرناً سالمة كـاملة . . وأن هذا الملـك أيضاً هو مصـدر « اللعنة الفرعـونية » . فكـل الذيـن مسوه أو لمسـوه طاردهـم الموت واحداً بعـد الآخر مسجلا بذلك أعجـب وأغرب ما عرف الإنسان من أنـواع العقاب . والشىء

الواضح هو أن هؤلاء الأربعين ماتوا . والشيء الغامض هو أن الموت لأسباب تافهة جدًّا ولظروف غير مفهومة . .

وكتاب « لعنة الفراعنة » للمؤلف الألماني فيليب فاندنبرج هو أحدث ما أصدرته المطبعة ، وأمتع وأجمل الأبحاث الدقيقة التي تروى مأساة « لعنة الفراعنة » على كل العلماء والباحثين . .

يقول المؤلف إنه في أحد الأيام جلس مع د . جمال محرز مدير الآثار في فندق عمر الخيام بالزمالك . وجاء الكلام عن لعنة الفراعنة فضحك د . محرز وهو يقول إنها شيء عجب . ولكني لا أصدق شيئاً من ذلك

وسأله المؤلف : ولكن كيف تفسر عشرات الحوادث التي أذهلت الطب والكيمياء ورجال الآثار ورجال الدين .

وضحك العالم المصري وهو يقول : لا أصدق . أنظر ماذا جرى لي أنا شخصيًّا . لاشيء !

* * *

وفي ذلك الوقت كانت مصر تعد رحلة لتوت عنخ آمون إلى لندن ، احتفالاً بمرور خمسين عاماً على الاكتشاف الإنجليزي لمقبرته . وجاءت طائرتان حربيتان ونقلت مجوهرات الملك وتابوته . وكان مؤمناً عليها جميعاً بأكثر من خمسين مليوناً من الجنيهات . . وفجأة توفي د . جمال محرز عن ٥٢ عاماً . والتشخيص سكتة قلبية !

هذا الملك الكامل المقبرة والتابوت واللعنات قد حكم مصر تسع سنوات (١٣٥٨ ــ ١٣٤٩ ق . م) وقد كشف مقبرته اثنان من الإنجليز هما كارتر واللورد كارترفون . .

أو على الأصح اكتشفها هوارد كارتر بأموال اللورد كارترفون الذى توفى فجأة وفى ظروف غريبة عجيبة يوم ٥ أبريل سنة ١٩٢٢ بالقاهرة

***

هذا اللورد من الأغنياء . وكانت له حياة غريبة . فهو مغامر . . ومن أهم مغامراته أنه كان يحب الخيول ويركبها عارية وعارياً . . وكان أيضاً يقتنى عدداً كبيراً من السيارات ، أيام كانت لعبة سباق السيارات محرمة فى بريطانيا . ولذلك فقد كانت سياراته كلها من فرنسا . وفى إحدى رحلاته بألمانيا التفت السيارة حول نفسها وسقط هو والسائق . وتحطمت ذراعاه وكتفاه وساقاه وتشوه وجهه تماماً . . واقترب من السيارة بعض الناس فوجدوا اللورد مغمى عليه . . وألقوا على وجهه بالماء حتى أفاق ودخل المستشفى وجفف جروحه ودموعه . ولكن ضيقاً فى صدره ظل يخنقه مدى الحياة . . ولذلك كان يهرب من برودة بريطانيا إلى دفء الجنوب . واتجه إلى مصر سنة ١٩٠٣ .

***

وفى ذلك الوقت كانت أعمال الحفر والتنقيب من أهم موضات العصر . وفى القاهرة قابله العالم الأثرى جاستون ماسبير و مدير المتحف المصرى . وقدمه لرجل التنقيب الإنجليزى هوارد كارتر . وكارتر كان مهتماً بالآثار ورساماً أيضاً ويعيش فى مصر منذ سنة ١٨٩٠ . وكانت له حفائر فى وادى الملوك لحساب بعض الأغنياء الأمريكان . . وقد صدر له كتاب بعنوان «خمس سنوات من الاكتشافات فى طيبة » . وكان لدى كارتر هذا إيمان قاطع بأن هناك قبراً خفياً . . هذا مجرد شعور ولكن ليس لديه أى دليل علمى على صدق هذا الإحساس الداخلى . .

وقد عثر كارتر على أدوات وأشياء صغيرة تؤكد له أنه يقترب بسرعة من شيء كبير . . أو على حد تعبيره هو : أننى كالذى يـرى طيور الشاطئ . . الطيور واضحة ولكن الشاطئ ليس واضحاً . . أو كالذى يرى أغصاناً عائمة تؤكد له أنه يقترب من غابة هائلة .

لقد تأكد لدى كارتر أن شيئـاً خطيراً سوف يتكشف أمامه . وبدأت ست سنوات من العذاب والعرق واليأس . ويـوم ٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ أبرق كارتر إلى اللورد يقول له : أخيراً . . اكتشفت شيئاً رائعاً فى وادى الملوك وقد أسدلت الغطاء على الأبواب والسرداب حتى تجىء أنت بنفسك لترى .

وجاء اللورد إلى الأقصر يـوم ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٢ وكانت تـرافقه ابنته . وتقدم كارتر وحطـم الأختام والأبواب . الواحد بعد الآخـر . . حتى كانا على مسافة صغيرة من غرفة دفن الملـك توت عنخ آمون . وأمتدت يده وأحدث فى الحائط فتحة . وأطل وخرج الهواء يحرك الشموع . . هواء ينطلق لأول مرة منذ ٥٣ قرناً . وفى صوت هامس مرتعش سأله اللورد : ما الذى تراه ؟

وأجاب كارتر الذى أدخل رأسه فى الفتحة الصغيرة : مالم تره عين منذ دفن الملك .

وأتوا للمقبرة ببـاب حديـد من القـاهرة . وبدأ كـارتر يـرسم كـل شىء . ويصوره بمنتهى الدقة . وتطوع متحف نيويورك وأرسل له عدداً من المصورين والرسامين والباحثين وعلماء اللغات والأطباء مساهمة فى هذا الحدث الجليل .

ومن المؤكد أن اللصوص قد امتـدت أيديهم إلى المقبرة . ولكن لم يفلحوا فى أن يبلغوا غـرفة الملك . ولأسبـاب غير واضحة انصرفوا عنهـا . . أو طاردتهم المخـاوف أو اللعنـات . . فتركـوا المكـان كله إلى أن يكتشفـه كـارتـر وتتبنـاه

صحيفة التيمس البريطانية منذ ذلك الوقت .

***

واهتزت الدنيا لهذا الكشف الرائع . وجاءت ألوف الخطابات إلى المكتشف كارتر . . ومنهـا خطابات تؤكـد أن له أسرة عظيمة فى أمريكـا . . وأن هناك أدلة علميـة بذلك . . وجـاءت خطابات تطلـب منه أن يبعث ببعـض تراب المقبرة إلى المعجبين والعشاق والمؤمنين فى أوربا وأستراليا . .

وبرغم هذه الحفاوة من كل مكان ومـن كل الناس فإن شيئاً فى قلب كارتر يوجعـه . ولا يستطيع أن يطلـع أحداً عليه . . فقـد وجد على أحـد الأبواب عبارة تقول أو تقول له : «سوف يطوى الموت بجناحيه كل من يقلق الملك » !

ولم يكد كارتر يرى هذه العبارة حتى انزعج . ولكن الحدث الجليل والكنز الدفين والشهرة والذهب ، شغلت الرجـل عن هذا الإنذار المخيف . فالتقط للعبارة صورة . ثم مسحهـا بيديه . . فهو الوحيد الـذى رأى والذى خاف . وهو الذى أخفاها عن عيون العمال والمسـاعدين المصريين حتى لا يتوقفوا عن الحفر . .

وقد عثر مرة ثانية على تحذير آخر منقوش على ظهر تمثال يقول : « أنا الذى أطرد لصـوص المقبرة وألقى بهم فى جهنـم هذه الصحراء . أننـى حامـى توت عنخ آمون . »

شىء عجيب . تحذيران من مقبرة واحـدة . ولعنة سوف تحيق بمن يقترب ويقلق الملك . أو يذهب إلى أبعد من تحريكه فى نومته . .

إن « اللعنات » ليست كثيرة فى أدب الفراعنة . . إنها ليسـت كالمطر الذى

يتساقـط على رأس من يقرأ التوراة . إن قـارئ التوراة لا يستطيع أن يرفـع رأسه من كثرة اللعنات التى تهبط عليه من مكان وعلى كل لسان . .

وإنما هناك لعنات قليلة فى مناسبات معروفة . مثلا : تحتمس الأول عندما ألقى خطاب العرش وهو يتوج ابنته الملكة حتشبسوت قال : الموت لمن يلعن . الملك . . اللعنة على من يلعن الملك !

ومرة أخرى عندما تآمرت زوجـات رمسيس الثالث قال : اللعنة عليهن . لقد أردن قتلى . ولكننى سوف أقتلهن جميعاً فهن أعداء الإله .

***

كما أن المستكشف انجلباخ قد عثر فى إحدى المقابر بالقرب من هرم ميدوم على نقش يقول : سوف تخنق روح الميت عنق اللص كما لو كان أوزه !

وعثر هـذا المكتشف على جثتين فى مقبرة واحـدة : جثة محنطـة . والأخرى ليست كذلـك . أما التى ليست محنطـة فهى لأحد اللصوص الـذى تسلل إلى المقبرة فسقطت عليه حجرة قتلته !

ويوم افتتـاح المقبرة كان المفروض أن يشهـد ذلك ثـلاثة عشر من الـرجال ولكن الذين حضروا كانوا اثنين وعشرين . ومن العجيب أن الثلاثة عشر رجلا الذيـن دعاهم كـارتر لهذه المناسبـة قد ماتـوا الواحد وراء الآخـر ، وفى ظروف غامضة تماماً .

أما اللورد كارترفون فقد أصابتـه حمى مفاجئة . وقال الأطباء إن السبب هو أن فى وجهه جروحاً قديمة . . وقد أسال دماءه وهو يحلق لحيته . مما أدى إلى أن يصـاب بـالحمـى . وهو تفسير سـاذج . وكـان اللـورد يصرخ : النـار فى

جسمى . . أو عندما يصاب بهذيان فيقول : إننى أرى أناساً يدحرجوننى على رمال الصحراء ويعصرون النار فى فمى . .

وجاء ابنه من الهند ليزوره وقد تمدد طريحاً فى فندق كونتننتال بالقاهرة . وجاءت الممرضة فى الساعة الثانية إلا عشر دقائق تهز رأسها فسألها : مات ؟

وهزت رأسها تؤكد ذلك . وذهب الابن ليرى أباه . وانقطع التيار فى الفندق . وفى مدينة القاهرة كلها . وفى اليوم التالى حاول أحد أن يجد تفسيراً لانقطاع التيار ولكن لا يوجد أى سبب معقول . . وفى نفس اللحظة وفى مدينة لندن صحا أهل بيت اللورد على الكلب الوحيد يعوى ويصرخ . . ثم يقفز إلى سرير اللورد جثة هامدة !

وعندما تزاحم أهل البيت يرون ما الذى أصاب الكلب سقطت منضدة ضخمة على القطة السوداء التى يتفاءلون بها فماتت فى لحظة واحدة !

وبعد ذلك مات وارتر ميسى الذى بعث به المتحف الأمريكى وكان يعاون كارتر فى الحفر . وجاءت وفاته نوعاً من الاحتراق الشديد . . ارتفعت درجة حرارته حتى أحس أن رأسه قد انفجر . . أو أن شيئاً انفجر فيه . وكان بعد وفاة اللورد بأيام !

وجاء المليونير الأمريكى جاى جولد ليرى مقبرة توت غنخ آمون . وأطل برأسه . وعاد إلى القاهرة ليموت فى الفندق فى نفس الليلة !

ومليونير أمريكى جاء وتفرج واسمه جيل ول . وأثناء عودته توفى فى الباخرة!

أما طبيب الأشعة أرشيبالد رون الذى قطع خيوط التابوت ليصور جثة

الملك فقد أصابته الحمى وتوفى فى لندن بعد أيام !

وحتى سنة ١٩٢٩ كان الثلاثة عشر شخصاً الذين دعوا ليوم الافتتاح قد ماتوا جميعاً .

وزوجة اللورد توفيت سنة ١٩٢٩ . . والسبب : أن حشرة غريبة جداً قد لسعتها !

أما سكرتير كارتر فقد توفى أيضاً فى نفس اليوم . ولما علم أبو السكرتير أنه قد مات ، قفز من الدور السابع ومات هو أيضاً ! وأثناء سير الجنازة تسلل طفل صغير بين أقدام المشيعين ولم يره أحد ، فداسوه ومات !

ولكن بالضبط ما هذا الذى حدث ؟

هل هناك « لعنة » حقيقية ؟ وما معنى كلمة « لعنة » ؟ . .

هل هى تعويذة سحرية . . هل هناك حروف يمكن تسليطها على الناس؟ هل للحروف قوة على الأشياء والناس ؟ هل للحروف « خدام » كما يقول رجال الدين وعلماء الروح ؟ هل هؤلاء الخدام قوة غير إنسانية . . قوة شيطانية؟

هل هناك سموم قد أودعها المصريون مقابرهم . . هذه السموم على شكل هواء قاتل . . أو على شكل تراب . . أو أن هناك معادن لها إشعاع مميت . . هل هناك طفيليات على جثث الموتى التى إذا لمسها الإنسان مات . . ماهو بالضبط ــ ومن الناحية العلمية الطبية الكيميائية السحرية ـ المقصود باللعنة الفرعونية ؟

إن ملوك مصر الفرعونية هم آلهتها أيضاً . وهم الآلهة لأن لديهم عدداً كبيراً من العلماء . والعلماء فى خدمة الملوك . ولذلك يظهر الملك أمام الشعب

يعـرف مواعيـد المطر والفيضـان . . ويعلن للنـاس ذلك . ويكـون صادقـاً ولايقول النـاس إن الملك عالم ، وإنما يقولـون إنه إلّه . . لأنه عـلام الغيوب ، وغـارس الحبـوب ، وكـاشـف الكروب ، وقـاهـر الحروب . . وكـان الكهنـة والأطباء والعلماء المصريون يعرفون الكثير جدًّا فى الطب والفلك والكيمياء . . بل إن علمهم هو الذى لايزال يحير العلـم الحديث . . فليس عجباً أن يهتدى علماء مصر إلى أشياء لانفهمها حتى اليوم . . وليست اللعنة إلا شيئاً متواضعاً جدًّا إذا قورن بما عرفه المصريون من ألوف السنين ، ولم نعرفه إلا أخيراً . .

وسوف نرى ما الذى يقوله العلـم الحديث جدًّا فى العلوم القديمة جدًّا . .

أشعـــة المــــوت
يطلقونها علــى رواد القبـور

لو أن رصاصة انطلقت من مصدر مجهول فأصابت عشرين عصفوراً فى وقت واحد وماتوا فما تفسير ذلك ؟ ماذا تقول إذا كانت الرصاصة قد انطلقت من ألوف السنين ثم أصابت عدداً من العصافير فى أماكن مختلفة وفى أوقات مختلفة ؟ ألا ترى أن هذا شىء عجيب ؟

لهذا كانت لعنة الفراعنة من عجائب الآثار والعلوم والطبيعة والكيمياء والطب والسحر . . .

وأمام هذا الشىء الغريب : إما أن نقول إن الذى حدث مجرد مصادفة . . وإما أن نقول لابد أن هناك سبباً آخر لا نعرفه وهذا هو الأصعب لأننا بعد ذلك يجب أن نفسر بالعقل والعلم معنى هذا الذى حدث ، ويمكن أن يحدث مستقبلا . .

والمصادفة معناها : أن يموت شخصان فى وقت واحد لسبب غير واضح . وفى حياتنا اليومية أنواع كثيرة من المصادفات .

ولكن العقل الإنسانى يحاول أن يربط الأحداث بعضها ببعض ليصل إلى نتيجة هى : أن كل شىء له سبب . .

ومن أقدم العصور نظر الفراعنة والبابليون إلى السماء . ولم يرفعوا أعينهم عن النجوم ومساراتها . وسجلوا المتحرك منها والثابت . ورسم الفراعنة « قبة

السماء » أو « الهيئة الفلكية » . وكذلك فعل البـابليون . والفراعنة هم أول من أدرك أن هناك علاقة بين النجوم فى السماء والحياة على الأرض . فقد لاحظوا أن نجمة « الشعرى اليمانية » إذا ظهرت فى الأفق ، كان هذا هو موسم الفيضان . وكان علماء مصر الفـرعونية يهمسـون بهذه الملاحظات للملوك . فيـزف الملوك هذه البشرى للشعـب . ويزداد إيمان الشعب بألـوهية الملك الذى يعـرف كل شىء . . .

فليسـت صدفـة أن يجىء الفيضان مـع ظهور هـذه النجمة أو غيرهـا . . وليس صـدفة أن يكون للنجوم أثـرها على الإنسـان . . أو على حياة الإنسـان ونحن الآن قد وصلنا إلى القمر ونعـرف أثر القمر على المد والجزر والعواصف . وأحدث مـا اهتدى إليه الإنسان هـو أن لمدار القمر أثراً فى ظهـور الزلازل على الأرض .

فهناك علاقة ما بين النجوم وبين الأرض ، وبين النجوم والحياة على الأرض أو حياة الإنسـان . وإن لم يكن واضحاً ما للقمـر من أثر على الإنسـان وحياة الإنسان . . أو حظ الإنسان فى الصحة والعمل والحب والزواج والأولاد .

ولكن بعض الأطباء لهم اجتهادات أخرى . فالطبيب الألمانى فلهلم فليس له نظرية تقول : إن كل إنسان لـه « دورة شهرية » . . فى هذه الدورة تكون له قوة جسميـة وعاطفية وعقلية . . وهـذه الدورة لها أول وقمة وآخر . . فـالدورة الجسسمية طولها ٢٣ يومـاً والدورة العاطفية طولها ٢٢ يومـاً . والدورة العقلية طولها ٣٣ يوماً . .

وكثيراً ما تـلاقت الـدورات الحيوية بين بعـض الناس ، فيتصرفـون بصورة متشابهة وهناك حادثة مشهورة . فقد توفيت نجمة سينمائية ألمانية هى وزوجها

فى حادث سيارة يوم ٢ أكتوبر سنة ١٩٧٠ وعندما راجع الأطباء تاريخ ميلاد الزوجين وجدوا أن حادث الوفاة قد وقع عندما كانت الدورة الجسمية والعاطفية عند الزوجين فى أحط درجاتها . . ومعنى ذلك أنهما تصرفا بصورة متشابهة فى ذلك اليوم . . وربما كان التصرف هو الرغبة فى الموت . . أو الانتحار . .

أى أن هناك نوعاً من « الإيحاء الذاتى » لكل منهما . هذا الإيحاء معناه ان لدى كل منهما رغبة فى أن يموت . .

وفى سنة ١٩٧٣ سقطت ١٥٦ طائرة مقاتلة نفاثة صنعت فى أمريكا ويقودها طيارون ألمان . وراح ضحيتها ٢٣ طياراً . وقد أثبتت التحاليل لظروف الوفاة ، أن ١٣ من هؤلاء الطيارين كانت دورتهم الشهرية منخفضة جدًّا .

وفى اليابان يعرفون نظام « الدورة الحيوية » لسائقى التاكسى . ولذلك فقد قرر كوكوساى صاحب أكبر عدد من التاكسيات أن يعطى السائق إجازة إذا كانت دورته الحيوية منخفضة . . وقد لاحظت سلطات الأمن اليابانية أن هذا قد أدى إلى نقص هائل فى حوادث السيارات . .

وفى سويسرا اتبعوا هذا النظام فى مدينة زيورخ أيضاً . ولذلك يكتبون على سيارة التاكسى أن السائق قد اقترب من الهبوط أو تجاوزه بقليل . وفى ذلك تحذير للسائق نفسه وللركاب والسيارات الأخرى . والنتيجة أن حوادث السيارات قد هبطت إلى النصف !

وهذه كلها محاولات لتفسير ما يحدث لبعض الناس فى ظروف متشابهة .

والسبب هو شيء ما فى داخل الإنسان ، جسم الإنسان أو وظائفه أو أعصابه؟

ونعود مرة أخرى نتساءل : كيف أن عددا من الناس لهم اهتمامات متشابهة تقع لهم نفس الأحداث . . كما أصيب بلعنة الفراعنة عدد من العلماء والباحثين أى الذين يهتمون بالحفر والتنقيب . .

فى حياتنا اليومية أدلة كثيرة على ذلك ، مثلا : ؛ حدث عندما كان أحد أساتذة الطبيعة يلقى محاضرة فى جامعة فيينا عن المواد المشعة أن توفى العالم الفرنسى بيير كورى مكتشف الراديوم المشع . وقد مات كورى هذا تحت عجلة إحدى السيارات . . .

ونفس الأستاذ الجامعى تحدث بلا مبرر واضح عن عالم الطبيعة النمساوى بولتسمان . ولم يكد الأستاذ يفرغ من محاضراته حتى جاءه من يقول إن العالم النمساوى قد انتحر !

هل هناك ترابط بين الذين لهم اهتمام واحد ؟

لقد أجرى العلماء تجربة على اثنين من المشتغلين بالرياضيات ، ووضعوا كل واحد منهما فى غرفة منفصلة . وأجلسا كلا منهما أمام جهاز رسم المخ . وأعطوا لواحد منهما مسألة حسابية ليقوم بحلها . وكانت المفاجأة : لقد سجل جهاز رسم المخ نفس الخطوط البيانية للاثنين . . أى نفس الخطوط لمن يحل مسألة حسابية ولمن لا يحلها !

* * *

إن هناك حادثة معروفة فى كل كتب علم النفس وهى أن أمًّا قامت من

نومها على صوت طرقات على الباب . ووجدت الباب منفحتاً وخيل إليها أنها ترى الجليد يـزحف على الباب وأن هناك نعشاً فى الجليـد . وأن فى هذا النعش ابنها . وفـزعت الأم . وراحت تـوقظ زوجة ابنهـا تروى لها هذا الحلـم أو هذه «الرؤيا » . . وفى الصبـاح تلقت رسالة مـن الجبهة من أحد زمـلاء ابنها يقول لها : أن شظية أصـابت ابنهـا . ولكنه دخـل المستشفى . ونـزعوا الشظيـة من صدره . ثـم أغارت الطـائرات عليهم . فـاحتموا فى أحـد الخنادق . وفجـأة تساقطت القنابل . وأهالت عليهم الجليد . وسمع ابنها يصرخ قبل أن يموت يقول : ؛ ياماما . !

وكارثة الطيران فى ألمانيا سنة ٧٢ التى راح ضحيتها ١٥٦ من الركاب . . فى هذا اليـوم أحس قـائد الطائرة أنـه ثقيل النفس . فـاعتذر عـن الرحلـة . أما السيدة التـى تقود الأتوبيـس الذى ينقل المسـافريـن إلى المطار ، فقد تـوقفت وصرخت . ولم تفهـم لذلك سببا . كما أن زوجـة وزوجها بعد أن ركبـا الطائرة نزلا منها . !

فهل يمكن أن يقال إن هنـاك طرازاً خاصاً من الناس لـديه هذا الإحساس بالموت ؟

إن العالم كله يعرف السيدة الأمريكيـة جين ديكسون . فهى التى تنبأت فى سنة ١٩٥٢ بأوصاف رئيس الجمهورية الأمريكية الجديد . .

وهى أيضـاً التى تنبأت باغتيـال الزعيم الهنـدى غاندى . ووفاة همرشـولد سكرتير الأمم المتحدة . . وانتحار مارلين مونرو . .

وفى يوم ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٣ كانت تتناول طعام الإفطار مع صديقاتها . وفجأة تـوقفت عـن الطعام والشراب . وقـالت : إن شيئـاً مروعـاً سوف يقـع

للرئيس كنيدى . . سيقتله واحد أول حرف فى اسمه : ألف وآخر حرف : دال . . واغتيل كيندى فى ذلك اليوم وقاتله اسمه : أوزوالد !

* * *

وهناك اجتهادات أخرى تقول : إن الأرض والمواد لها طـاقة . وهذه الطاقة يمكن مضاعفتها وتوجيهها .

ففى معظـم العواصـم الأوربية شوارع تقـع فيها الحوادث . هـذه الشوارع معروفة باسم شوارع الموت . ففى ألمانيـا شارع معروف . ومكان محدد من هذا الشـارع تقع فيـه الحوادث بانتظـام . ولـذلك فهـم يحذرون الناس مـن السير بسرعة أو الانحراف بشـدة . . تماماً كما يحدث عند مدينـة دمنهور أو قبلها أو بعدها . . فمعظم حـوادث الطريق الزراعى تقع عندهـا . ولذلك فيمكن أن يقال إن هناك « لعنة دمنهور » .

وقد اهتدى العلماء إلى أن من هذه المناطق القـاتلة تنطلق طاقة زائدة تؤدى إلى خلل فى الموتورات أو فى السائقين .

وهناك الحادثة المشهورة للعالم الإنجليزى بـول بريتون الذى حبس نفسه فى غرفة الملك خوفو ليلة كاملـة . وفى الصباح روى للعالم أنه رأى أشباحاً . وأنه رأى جنازة هـائلة ، وكـان هو الميـت . . وأن الذى رآه والـذى سمعه والـذى أحس بـه يشبه تماما ما يشعـر به الذين يتعـاطون عقاقير الهلوسـة . . وكادت أنفاسه تختنق حتى الموت . فما هذا الذى أصابه ! وما تفسيره علميا !

فى سنة ١٩٥٩ اهتدى أحد العلماء واسمـه درابل إلى أن « الشكل الهرمى » له أثـر كبير على تحنيط الجثث . إن الشكل الهرمـى يساعد على ذلـك . بل إن

هذا العالم درابل قد جرب وضع السمك فى داخل الأجسام الهرمية الشكل فلاحظ أن وزنها قد نقص بعد ١٣ يوماً . . وعندما وضع البيض لمدة ٤٣ يو نقص وزنه من ٥٢ جراما إلى ١٢ جراما . حتى السمك لم تظهر له أي رائحة . .

أكثر من ذلك أنه استخدم الشكل الهرمى فى « تحديد » أمواس الحلاقة . أى جعلها حادة إذا وضعها لمدة أسبوع . .

فهل الفراعنة يعرفون هذه الخصائص كلها ؟

من المؤكد أنهم يعرفون الكثير عن مزايا الشكل الهرمى بالنسبة للأجسا الإنسانية . . بالنسبة للموتى والاحياء أيضا . وهناك نظريات كثيرة تؤكد أ الفراعنة استخدموا الهرم لتسليط الأشعة على المزارع . وقالوا أنهم استخدم السطح اللامع للهرم ليعكسوا أشعة الشمس على السحب فأسقطوا المطر !

فهل استطاع الفراعنة أن يسلطوا قوى وطاقات أخرى على الأحيـ والأموات ؟ . هل هذا هو التفسير الممكن للعنة الفراعنة التى أصابت ك الذين حاموا وداروا حول توت عنخ آمون ، أو الذين لمسوه أو شموا هو قبره؟ . هل استطاع الفراعنة أن يطلقوا « طاقة الموت » أو أشعة الموت على ك الذين دخلوا مقابرهم أو معابدهم أو قبورهم أو قلبوا جثث موتاهم ؟

إن التاريخ القديم يؤكد لنا أن الفراعنة كانوا على علم عظيم بما يجرى ف الكون بين السماء والأرض . . وأثر المادة على الناس . . وأثر أمزجة الناس عل الناس . . وأنهم عرفوا دورة الحياة أو طاقة الحياة . . وسحر الحياة . . وأنه عرفوا النظام الذى يحكم الكون بما فيه الكواكب والنجوم والنبات والحيوا والإنسان .

إن عددا كبيرا من عباقرة الإغريق والرومان جاءوا إلى مصر يتعلمون : جاء الشاعر هوميروس وجاء الحالم أورفيوس ، وجاء المؤرخ هيرودوت والأديب يوربيدس والمشرع سولون والرياضى آرشميدس . وقد سجل الفيلسوف العظيم أفلاطون عظمة الفراعنة فى واحد من كتبه اسمه « تيماروس » . وجاء على ألسنة أحد كهنة مصر وهو يحدث رجل التشريع والحكم والحكمة سولون وهو يقول ، أنتم أطفال إذا ما قورنتم بما لدى المصريين من علم . . أنتم أضعتم علمكم . ولكن المصريين احتفظوا بالعلم والحكمة فى المعابد والمقابر . وأنتم مضطرون إلى أن تبحثوا من جديد دائماً . . ولكن المصريين لديهم علم متصل وحكمة موفورة . . وهذه الحكمة كالنهر تفيض دائماً بالنور والحياة والخير والسلام . .

فليس مستحيلا أن يعرف الفراعنة كل ذلك عن خواص المادة وأشكالها وعن مصادر الطاقة وتوجيهها . . وأن يموتوا ومعهم الكثير من العلم . .

* * *

ولكن ماتزال هناك ألغاز يجب أن نجد لها حلا . .

أن الأثرى المصرى د . على الخولى قد دخل دورة المياه فوجد العالم الكبير ايمرى قد أصيب بالشلل ويصرخ والتمثال فى يده . ويسقط ميتاً .

إنها نفس مأساة العالم الفرنسى شامبوليون الذى قرأ حجر رشيد ، وهى أيضا نفس الطريقة التى مات بها الطبيب الألمانى الذى اكتشف دودة البلهارسيا فى مصر ـ كما سنرى !

لابد أنهم عرفوا مساحيق الهلوسة

أحد العلماء السويسريين كان يقوم بتجارب على بعض العقاقير . . وبعد ساعات وجدوه يبكى ويضحك ويقف على رأسه . . ثم يتشقلب . . ثم ينشر ذراعيه كأنه يطير فى السماء ، ويكشف عن ساقيه كأنه يخوض فى الماء . . وكان ذلك سلوكاً غريباً من عالم وقور . . فما الذى أصابه ؟

كل ما حدث هو أن واحداً على مليون من الجرام من مادة كان يقوم بتركيبها قد علق بأصابعه . . ولمست أصابعه شفتيه . . فكانت هذه الهلوسة . . ومن يومها والعالم يعرف هذا العقار الرهيب الذى اسمه : ل . س . د . . فهل لعنة الفراعنة شىء من ذلك !

من المؤكد علميًا وتاريخيًا أن الفراعنة كانوا يعرفون العقاقير . وكانوا قادرين على خلطها وتركيبها واستخدامها . . والطب الحديث يقول لنا إن بعض مساحيق الهلوسة ممكن أن تحدث أثرها عن طريق الفم والأنف . . وأحدث

اكتشافات الهلوسة عن طريق ذرات هذه العقاقير إذا دخلت العين . .

* * *

نعود إلى ما حدث يوم ١٠ مارس سنة ١٩٧١ عند قرية سقارة . كان يوماً دافئاً . وكان العمال يحفرون الأرض وعلى وجوههم وملابسهم آثار الرمال والارهاق وعذاب السنين ، ومرارة العيش ، أما العالم الإنجليزى والمشرف على الحفائر فى هذه المنطقة وأستاذ علم المصريات فقد ظهر أشد إرهاقاً من الجميع . ولكنه حمل فى يديه شيئاً صغيراً : تمثال الملك أوزيريس . وهو يقلب التمثال . ثم اتجه إلى مكتبه ومن ورائه مشى مساعده على الخولى . ودخل إيمرى الحمام يغتسل . وفجأة صرخ الرجل وراح يموء كالهرة ثم ينبح كالكلب ثم يعوى كالذئب . . وسارع على الخولى ليرى ما الذى أصاب الرجل . . لقد سقط العالم الكبير ! .

وجاءت عربة إسعاف ونقلته إلى المستشفى . والتف حوله الأطباء وكان تشخيصهم : شللا نصفيًّا . ولم ينطق الرجل بكلمة . وإنما راح يحاول أن يقول شيئاً . وظلت زوجته إلى جواره طول الليل . ويوم ١١ مارس كان قد مات !

ومن العجيب أن الأستاذ ايمرى لم يكن يؤمن بلعنة الفراعنة . وكان إذا حدثه أحد عن ذلك راح يضحك .

أما صلة الأستاذ إيمرى بالآثار فقديمة . إنه كان مهندساً بحريًّا . ثم جاء إلى مصر فى العشرينيات ثم عاد إليها فى الثلاثينيات وراح يقلب فى الأرض . وينبش . وعثر على عشرات من المقابر . ولكن فجأة وجد أن حلم حياته هو

أن يعثر على مقبرة أمنحتب ذلك الحكيم الفيلسوف المهندس المعمارى الفلكى . . فقد كان هذا الطبيب عبقريًا ، لأنه عرف الأمراض والعقاقير . وقد جعله الناس إلها . ويقال إنه هو أيضاً الذى اخترع التقويم الفلكى ويقال أنه هو الذى اخترع الكتابة . ومن المؤكد أن رجلا على هذا القدر العظيم من العلم ، لايمكن أن يهتدى أحد إلى قبره بهذه السهولة . ولكن الفكرة تسلطت على العالم الانجليزى . . ولابد أن اكتشاف مقبرة هذا الرجل ستكون له نفس أهمية اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون وربما كانت لعناته أشد وأعنف من لعنات الملك الصغير توت عنخ آمون . من يدرى ؟

واهتدى الأستاذ ايمرى إلى مقابر وسراديب . . ووجد لوحات ونقوشاً . وأيقن أنه فى الطريق إلى مقبرة أمنحتب وربط العمال بالحبال حتى لايضلوا تماما كما فعلت الفتاة الأسطورية أريان عندما أدلت بالحبال إلى حبيبها فى قصر التيه فى جزيرة كريت ، لعله يقدر على الخروج من محنته فى ذلك القصر . . ولكن العالم الكبير لم يهتد إلى شىء . . وبعد هذا الفشل الكبير بدأت تظهر عليه حالات من الهذيان الغريب . . حتى انتهى ذلك بالموت ! .

* * *

وهذه الحالة من الهذيان والهلوسة قد أصابت عدداً كبيراً من العلماء قبله وبعده . فمثلا العالم : يوهاتس دميتش الذى ولد سنة ١٨٣٣ وجاء إلى الصعيد والنوبة . ونقل مئات النقوش على الجدران . وحاول فهمه وتفسيرها . وأمضى من عمره سنوات طوالا . هذا الرجل أصيب بحالة من الهذيان المستمر . وقد شخص العلماء حالته الغريبة : بأنها نوع من انفصام الشخصية أو ازدواجها . وحاول أن يؤلف كتاباً . ودفع له الناشرون ثمن

الكتاب مقـدماً . وجلـس وكتب ٣٥٠ صفحة لم يستطـع أحد أن يفهـم منها عبارة واحدة .

ولا يستبعـد العلماء أن هذا البـاحث قـد لمست أصـابعه النقـوش ساعـات طويلـة . وانتقلت أصـابعه إلى وجهـه وإلى شفتيه ، أو إذا لم تلمس أصابعه شفتيه ـ وهذا مستحيل ـ فقد انتقل غبار القبور إلى أنفه أو عينيه . . فأصيب بهذه الهلوسة المستمرة ! .

* * *

وعالم أثـرى آخر اسمه هينـريش بـروجش (١٨٢٧ ـ ١٨٩٤) لقـى نفس النهايـة بعد زياراته لمصر . وبعـد دراساته فى المقابـر ونومه فيها . لقـد وجده الناس يمشى عـارياً فى الشارع وقد وضع على رأسـه تاجاً من الـورق يشبه تاج الملك مينا . . ثم مات مشلولا !

أما مأسـاة العالم الفرنسى الشـاب شامبوليون (١٧٩٠ ـ ١٨٣٢) فهى من أعجب ما عرف الإنسان . فهذا العبقرى الفـرنسى قد تنبأ الفلكيون بمستقبله قبل أن يولـد . فقد قال أحد الفلكيين لأبيـه : سوف يكون لك ابـن هو (نور الحضارة الإنسـانية) . أمـا الأب فرجـل يبيع الكتـب . وقد فتـح شامبـوليون الصغير يديه وعينيه على الكتب الضخمـة . وخصوصاً (الكتاب المقدس) . فعندما كان شامبوليون طفلاً فى الخامسـة من عمره كان يحفظ صفحات كاملة من الإنجيل قبـل أن يعرف القراءة والكتابة . وأشفق الأب على ابنـه ، فأبعده عن الكتب . فسرقها الطفل وأعطاها لأمه وللجيران لكى يقرأوا له . . أما أخوه الأكبر فقد كان مهتماً بـالآثار المصرية . وتمنى لـو أن نابليون قد أخـذه معه إلى مصر . ولكن نابليون لم يفعل . فانصرف الأخ الأكبر إلى التجارة . ولكن حزنه

عميق . وفى يـوم اشترى نسخة من مجلة تصـدرها الحملة الفـرنسية فى مصر ، وفى هذه المجلـة سطور تقول : إن الحملـة الفرنسيـة قد اكتشفت حجـرا عند رشيد . والحجـر مكتوب بثلاث لغات : الهيروغليفيـة والقبطية واليونـانية . . وبعث لأخيـه بهذه المجلة وكـان شامبـوليون الصغير فى التـاسعة مـن عمره ، وأرسل الأخ الأكبر خطابا لأخيه الصغير يقول لـه : لعلك تنجح حيث فشلت أنا !

وحاول الطفل فك رموز هذا الحجر وظل عاكفاً على هذه المعضلة اللغوية التاريخية واحداً وعشرين عاما ! .

وفى سنـة ١٨٠٧ راح يـدرس اللغـة القبطيـة . . واهتـدى إلى أن النـص اليـونـانـى المنقـوش على الحجـر يضم ٤٨٦ كلمـة يـونـانيـة و ١٤١٩ كلمـة هيروغليفية . .

وطلب شامبوليون عشرات من النقـوش الموجودة على المسلات الفرعونية فى عصور محددة . لعلـه عن طريـق معرفة اسم (كليـوباترة) أن يهتـدى إلى بقية حروف الهجاء .

وفى يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٢٢ اهتدى إلى اسمين آخـرين هما : رمسيس وتحتمـس . ثم راح يضـع أمامـه تفسير الحروف والكلمات كلها . . . وإذا بـه يقف على المنضدة صارخاً : وجدتها : وجدتها !

ثم يسقط على الأرض فى حالة إغماء لمدة خمسة أيـام . وبعد أن أفاق سافر إلى مصر على رأس بعثة أثرية ليتحقق من هذا الاكتشاف العظيم الذى اهتدى إليه . وعند عودته من مصر أصيب شامبـوليون بالشلل . وبعد ذلك بالهذيان

التام . . وبالإغماء الطويل ليموت وهو لم يكمل بعد ، الثانية والأربعين !

وقصة الأثرى الإيطالى بلتسونى (١٧٧٨ ـ ١٨٢٣) من هذا النوع أيضاً إنه شاب مغامر . أبوه حلاق . ولم يترك عملا لم يساهم فيه : كان ممثلا ومطرباً ومهندسًا وأثريًا ومخترعاً ونصاباً ومقامرًا ومكتشفاً . عاش فى إنجلترا ثم سحرته الآثار المصرية فجاء إلى مصر . واقترح على محمد على باشا أن يدخل تعديلات هندسية على السواقى ومضخات المياه . ولكن محمد على لم يأخذ بوجهة نظره . . وسافر إلى الصعيد والنوبة . . وراح ينبش المقابر . وهو الذى اهتدى إلى مقبرة الملك سيتى الأول . كما أنه شحن إلى أوربا الكثير من الآثار المصرية التى اهتدى إليها وهربها . وأقام لها معارض مشهورة فى أوربا وكسب من ورائها مئات الألوف . .

وفى مذكراته يروى إحدى لياليه تحت الأرض : « كان الدهليز طويلا . وكانت تتساقط فوق رأسى أشكال وألوان وأحجام من الأذرع والسيقان . . وكان التراب يملأ أنفى . وكنت أعطس وأسعل وأذرف الدموع . . وفى إحدى المرات كدت أختنق . . وفجأة وجدت أمامى أشباحاً عجيبة . ولم أكن فى حالة من الخوف . وظننت أن للدهليز باباً آخر . وخيل إلىّ أن الذين أراهم بوضوح أمامى هم بعض العمال المصريين . . لولا أن وجوههم لم تكن واضحة» . .

وفى آخر رحلاته إلى غرب أفريقيا ركب إحدى السفن . . وكان الموج عالياً وكان الهواء عاصفاً والشمس حارقة . . فأصابته الحمى ومعها الهذيان ثم انتهى ذلك بالشلل النصفى وتوفى يوم ٣ ديسمبر سنة ١٨٢٣ عن ٤٤ عاما !

أما الطبيب الألمانى بلهارس ، الذى اكتشف البلهارسيا فى مصر فقد توفى

فى ظروف غريبة عجيبة عن ٣٧ عاما !

هذا الطبيب الألمانى بلهارس كان شابًا نابهاً . وكان مشغولا فى الدرجة الأولى بالبحث عن تكوين الدم عند الحيوانات الفقرية ، أى ذات العمود الفقرى . وقد ظهر نبوغه فى سن مبكرة واصطحبه معه طبيب ألمانى أكبر وأعظم إلى مصر . وسرعان ما تعب الضيف الكبير وترك للشاب أن يقوم بهذه المهمة . واتجه الطبيب بلهارس إلى دراسة الجثث الفرعونية القديمة وتحليلها . وقد اهتدى بلهارس إلى نوع من الديدان المتكلسة أو المتحجرة فى معدة جثة من الأسرة العشرين . ثم عاد بلهارس يتحقق من دودة البلهارسيا فى طمى مصر . وتأكد لديه أن هذه الدودة هى مصدر هذا المرض التاريخى عند الفلاح المصرى . .

وعرض بلهارس اكتشافه الطبى هذا على العلماء وكانت له هزة عالمية . . وأصبح بلهارس نفسه أحد معالم مصر الحديثة . وكان هو حريصاً على أن يرافق كبار الزوار إلى المقابر الفرعونية القديمة . . كما أنه لم ينس أن يبعث بمئات الجثث الفرعونية إلى الجامعة التى تخرج فيها يوم احتفالها بالمائة الرابعة لإنشائها !

أما نهاية الشاب النابغة فهى الهذيان لمدة خمسة عشر يوماً انتهت بالوفاة . ولم يعرف الأطباء الذين حوله ماهو هذا المرض الذى أصابه !

* * *

والعالم الأثرى لسبيوس (١٨١٠ ـ ١٨٨٤) قد نبش مئات القبور . وعاش فيها سنوات طويلة . وفى إحدى المرات وهو يخرج من واحد منها تعثر ليصاب

بالشلل ويموت بعده بساعات !

والأثرى جورج ميلر (١٨٧٧ـ ١٩٢١) وهو الخبير العالمى فى التحنيط والدفن والطقوس الدينية قد توفى بنفس الصورة : هذيان وصراخ وخلع ملابسه كاملة وسير فى الطريق العام ثم شلل وإغماء حتى الموت فى الرابعة والأربعين !

* * *

وأخيراً المؤرخ الأمريكى جيمس هنرى برستيد فقد كان أستاذاً فى جامعة شيكاغو . وقد اشترك فى كثير من البعثات الأثرية إلى مصر . وبرغم مرضه كان واحداً من الذين شهدوا فتح مقبرة توت عنخ آمون . ولكن لماذا كان مريضاً فى ذلك اليوم المشهود !

لقد دخل مئات المقابر والدهاليز وتقلبت أمامه الجثث والتوابيت . . وملأ يديه بالجماجم . . وملأ أنفه بالتراب ، برغم تلك الكمامة التى كان يضعها عادة على أنفه وشفتيه . . وبرغم احتياطه الشديد من الخفافيش الكثيرة التى كانت تسكن بعض الدهاليز . وكان من آماله العظيمة أن يعيد صياغة كتابه المشهور باسم (تاريخ مصر) . ولكنه لم يستطع . . وإنما حدث عندما اتجهت به السفينة إلى ميناء نيويورك أن شعر بارتفاع فى درجة الحرارة . . ودوخة . . ثم أحس الذين حوله أن العالم الكبير لا يعى مايقول . . ثم أصيب بآلام شديدة فى أطراف أصابعه . . وفى شفتيه وفى عينيه . . ثم بإغماء شديد . . وبعد ذلك بشلل . ولم يفلح الأطباء فى أن ينقذوه ومات يوم ٢ ديسمبر ١٩٣٥ وقبله ماتت زوجته . محمومة مشلولة . . ولما ماتت الزوجة . . اختار المؤرخ الكبير أختها الصغرى . وكانت الأخت الصغرى تصرخ أثناء

الليل من حلم واحد لايتغير : أن جماعة مـن الفراعنة خطفوها . وحشروها فى نعش ثـم ألقوا بها مـن فوق الهرم وتتحـول إلى ذرات من التراب . . ويـوم توفى زوجها العـالم الكبير برستيـد جاء خفـاش وغطى وجههـا وخنق أنفـاسها . . وعندما صرخت صحت من نومها لتجد أن زوجها قد نام إلى الأبد !

وشىء آخـر أعجب مـن ذلك فعندمـا انتهى طبيبـان عالميـان من تشريـح جثـة تـوت عنـخ آمون يـوم ١١ نـوفمبر تـوفى الـرجـلان . . كيف؟ . . هذا ما سوف نرى !

تفـــاح الجـــن
فى تــابـوت المـــلك

أمّا معنى التميمة المصنوعة من الحديد والتى رافقت جثمان الملـك توت . . فتفسيرهـا فى الفصل ١٦٦ مـن كتاب الموتى الذى يقول : « انهض من نومك . فسوف تنتصر على كل شىء . فالطريق مفتوح أمامك . . لقد قضينا على كـل أعدائك » وتفسير وإنذار أعنـف يقول «كل يـد تمسكك تنقطع . كـل أنف يشمـك يسقط . كـل عين تـراك تنطفـئ . . انهض هـادئاً صـاحـب الجلالة ! » .

أما جثمان الملك تـوت عنخ آمون فقد نقلوه إلى المشرحة فى القـاهرة . وكان ذلك يـوم ١١ نوفمبر سنــة ١٩٥٢ . هناك حـركة غير عـادية . العلماء يجرون والأسـاتذة والحراس . واقتربـت السـاعة مـن التـاسعة وتجاوزتها إلى الثـلاثين دقيقة ، ثـم توقفت العقارب أو الـزمن كله عنـد الساعة التاسعـة و ٤٥ دقيقة ووقف الأثريون والأطباء أمام مومياء الملك التى لم يمسسها أحد منذ ٣٣ قرنا . وكان المـلـك ملفوفا فى أغطيـة تفحمت مع الـزمن . وكانـت ملفوفة بـإحكام

شديد . فهناك أربطة طولية وأربطـة عرضية ولها أشكال هندسية . وقد وقف الجراح يمسـك مشرطـه ويخشـى إن سقـط على القماش أن يتهـاوى كلـه بين أصابعـه . . ولذلك كـان شديد العنـاية ـــ أو شديد الخوف أيضـا . ولابد أن يخاف فهذه أول موميـاء كاملة لملك يقـربها إنسان . . وهى أول موميـاء سليمة تماماً ، ويجب أن تظل كذلك .

* * *

أما الحاضرون ويتقدمهم الجراح الإنجليزى د . دوجلاس درى فهم :

١ ـ صالح عنان باشا وكيل وزارة الأشغال .

٢ ـ سيد فؤاد بك الخولى محافظ قنا .

٣ ـ مسيو بييرلاكو مدير عام مصلحة الآثار . .

٤ ـ د . صالح بك حمدى مدير عام الخدمات الطبية بالإسكندرية .

٥ ـ مستر لوكاس الإخصائى الكيميائى بمصلحة الآثار .

٦ ـ مستر هارى برتون مندوب متحف مترو بوليتان للفنون بنيويورك .

٧ ـ توفيق أفندى بولس كبير مفتشى آثار الوجه القبلى .

٨ ـ محمد شعبان أفندى مساعد أمين متحف القاهرة .

وقد اهتز العالم كله لهذا الحدث العلمى والطبى الجليل . وربما كان الجراح الإنجليزى درى خائفا .

فقد كتـب فى مذكـراته يقـول : بعض النـاس يرى أن فـك أربطة الموميـاء وتشريحها نوع مـن الإهانة للميت والاستخفـاف بقدره العظيم . ولكن الـدافع

الحقيقى هو أننا نريد أن نعرف ، وقد كان الفراعنة من أكثر الناس حبًّا للمعرفة ، ومساهمة للعلوم فى كل العصور» .

وأمام الجميع بدت المومياء بمجوهراتها وذهبها . كما أن وضع المومياء فى التابوت كان عنيفاً إلى حد ما ، فالأيدى التى أودعت الجثة لم تكن متزنة أو كانت مرتبكة إلى حد كبير . لأن الجثة قد وضعت بشىء قليل من الميل . . كما أن الشمع الذى صبوه على الجثمان لم يكن بهدوء . . فما تزال له بقايا متفاوتة القرب والبعد من أرضية التابوت . كما أن الجثة قد ثبتت إلى حد ما فى أرضية التابوت . . ووضعوا تحت رأس الملك وسادة . هذه الوسادة لم تكن قد لقيت العناية الواضحة فى كل شىء . . ربما كان هناك (سبب ما) أصابهم بالارتباك عند وضع الملك الشاب فى مثواه الأخير ـ ولكن احدا لم يستطع أن يذهب فى التفسير والتعليل إلى أبعد من هذه الملاحظات . .

وكان على الجراح الكبير درى أن يفتح جزءاً من الجثة ليصل إلى أعماقها . . وكانت العناية الشديدة ضرورية . فأزال بعض الأقمشة ثم الأربطة ثم اللفافات ثم المواد التى استخدمت فى التحنيط . ووجد ١٤٣ قطعة من المجوهرات التى ازدانت بها أغطية الملك . . واحدة منها سقطت وحدها . . وفجأة سقطت واحدة أخرى . والتصقت الاثنتان معا ! ولكن أحداً لم يلاحظ ذلك فى الحال . فقد كان الموقف مهيباً رهيباً .

والذى حيرّ العلماء ـ حتى علماء الأشعة ـ هذه التميمة المصنوعة من الحديد . . غريبة الشكل . . وغريبة أن تكون من الحديد وكل شىء حول الملك من ذهب . . وحول عنق الملك ٢١ تميمة أخرى . . بعضها للاتزان وبعضها للزينة والباقى لوقايته . .

لا أحد يعرف بالضبط هل لهذه التميمة أى أثر إشعاعى ! ربما كانت كلمة الأشعة أو الإشعاع لا معنى لها عند رجال الدين فى ذلك الوقت . . أو عند عامة الشعب . فالناس عادة يعرفون الفوائد العلمية لأشياء كثيرة ، ولكنهم لا يعرفون الأسس العلمية لها . . ففى ألمانيا الحديثة كان الناس يأتون بالرمال من (وادى خواكيم) ويضعونها فى أكياس صغيرة . وهذه يضعونها على مواطن الألم فى الجسم الإنسانى . وكان الألم يذهب . وآمن الناس بذلك عشرات السنين . حتى جاء العلم الحديث يؤكد أن فى هذه الرمال نوعاً من الإشعاع . وأن هذا الإشعاع هو الذى يذهب بالألم . . ومن المؤكد أن الإغريق والفراعنة قد عرفوا الفوائد العملية لأشياء كثيرة . ولكن عامة الشعب لايعرفون أساسها العلمى . . ولذلك كانت هذه التجارب العلمية نوعا من المعجزات . . أو من الغيبيات ـ أى من الأفعال المجهولة الأسباب . .

* * *

أما الملك فهو متوسط القامة نحيف جدًّا . طوله ١٦٧ سنتيمتراً . وتحليل عظامه يؤكد أنه توفى فى سن صغيرة بين الثامنة عشرة والعشرين . هذه حقيقة يؤكدها علم العظام . وما اهتدى إليه الجراح الإنجليزى اليوت سميث الذى أمضى سنوات طويلة من عمره يقلب فى الجماجم . لقد حطم أكثر من عشرين ألف جمجمة ، باحثًا عن عمر أصحابها وأهم من ذلك باحثاً عن الأمراض التى أصيبوا بها وعن أسباب الوفاة أيضاً . وكان هذا الطبيب ينسى أنه يعالج بقايا أناس ماتوا . ولذلك كان يعاملهم بعنف ويحاورهم كأنهم أحياء . وفى إحدى المرات دخل المتحف المصرى وحمل تابوتاً على رأسه ووضعه فى أحد التاكسيات واتجه إلى عيادته . وكان صاحب التابوت هو الملك تحتمس

الثالث (١٥٠٢ ـ ١٤٤٨ قبل الميلاد) واكتشف الطبيب أن هذا الملك كان مصابا بالتهاب فى اللثة والشفتين . ومن أهم ما اكتشفه هذا الطبيب أن أحداً من الفراعنة فى كل العصور لم يصب بمرض الزهرى .

* * *

أما عالم البكتريا الفرنسى روفر الذى كان أستاذا بطب القاهرة ورئيسا للصليب الأحمر المصرى فقد اكتشف البكتريا فى مومياء فرعونية . ووجدها فى الرئتين والكبد كما أنه وجد دودة البلهارسيا فى كليتى ميت من الأسرة العشرين . وهو الذى اكتشف أن الملك رمسيس الثانى (١٣٠١ ـ ١٢٣٤ قبل الميلاد) والذى بنى معبد أبو سمبل قد توفى بتصلب الشرايين . .

لقد أصبح من المؤكد علميًّا أن الملك الشاب دفن بسرعة . ولكن أحداً حتى ذلك الوقت لم يعرف لماذا ؟

أما الواقفون حول جثمان الملك توت عنخ آمون فقد ظهر الذهول عليهم عندما رأوا الجراح البريطانى يتراجع لأنه نفذ بمشرطه إلى بطن الملك . .

ولكن ما الذى فعله الطب القديم والسحر الفرعونى بالملك الشاب وتحنيطه وقبره . . وكيف استطاعوا حمايته ألوف السنين والقضاء على من تهجموا على موته الهادئ الأبدى ؟ ـ هذا ما سوف نرى ؟

وقد تصبب عرقاً بارداً . . لقد وجد أن هناك إكليلاً ذهبيًّا على وجه الملك الشاب الذى ظهرت ملامح وجهه نضرة محددة القسمات . إن هذا الملك هو الوحيد الذى وضع له الإكليل . ولكن لماذا ؟ ماقوة هذا الإكليل ؟ ماسحره ؟ هل هناك أى أثر إشعاعى سريع لهذا الشىء الغريب الذى حرص الذين دفنوا

الملك على أن يضعوه برغم أنهم تعجلوا دفنه ؟

بعد أربعين عاماً من ذلك اليوم اهتدى الأطباء إلى شيء جديد . . فقد جاء طبيب الأشعة د . رونالد هاريسون . وحمل معه جهازاً صغيراً إلى وادى الملوك والتقط خمسين صورة لمومياء الملك ورأسه . وقد لاحظ الطبيب أن هناك جرحاً على الجانب الأيسر من الوجه . وهذا الجرح قد التأم . وكان معنى ذلك أن الملك قد ضرب أو سقط . وبمتابعة الصور مرة أخرى تأكد لدى الطبيب أن الملك توت عنخ آمون قد مات بجلطة فى المخ على أثر هذه الضربة العنيفة . . وهذا يفسر وضعه غير المتوازن فى التابوت وظهور بعض الخلل فى أربطة الملك وزينته . . واختلال مسار الشمع على الجثمان . . وليس صحيحا ما ظنه بعض الأطباء من أن الوفاة كانت بسبب أورام خبيثة أو التهاب رئوى أو سل فى العظام . .

جاء د . كونولى وقام بتحليل دم الملك الشاب . ووجد أن فصيلة دمه من ذلك النوع النادر : ألف ٢ مجموعة م . ن .

ولابد أن يكون هذا الملك قد جاء من أسرة أرستقراطية جدًّا . وبتحليل دم الملك اخناتون وجد أنه هو أيضاً من نفس الفصيلة . .

* * *

وكان هوارد كارتر الذى اكتشف المقبرة قد سجل فى كتابه الكبير أن هناك شبها عجيباً بين إخناتون وبين توت عنخ آمون . أما تفسير ذلك الآن فواضح : وهو أن توت عنخ آمون الذى كان زوجاً لابنة إخناتون ، هو فى نفس الوقت ابنه غير الشرعى . . فزوجة اخناتون لم تنجب له إلا البنات . وقد اضطر

إخناتـون إلى أن يتزوج سرًّا أخته غير الشقيقة وأنجـب منها توت عنـخ آمون . الذى راح ضحية ثـورة دينية غير معروفة الملامـح . هل كان هو سببهـا ؟ هل كان هو إحدى أدواتها ؟ لقد كانت محنة واجهتها أرملته التى كانت فى الخامسة عشرة من عمرها .

أما كيميائى مصلحة الآثار لوكاس فقد قام بفحص المومياء . . ثم فحص المقبرة كلها فوجد بها بعـض الفطريات ولكن هذه الفطريـات لم تستجب لأية معـالجة كيميائيـة . وأعلن أن المقبرة خـالية تمامـا من الجراثيـم . وإن كانـت الفطريـات نفسها قد أسقطـت جدران المقبرة . وعثـر على حشرات كثيرة ميتة مسمومة .

أما العالم الإيطالى الفيرى الذى كان يعمل بالجمعية الزراعية الملكية المصرية فقد عثر على أنـواع عجيبة من الخنافس عاشـت على عفن عضوى فى المقبرة . وكذلك عثر على عنـاكب ميتة ، وأن نسيجها مايزال عـالقاً فى الأركان كما كان من ٣٣ قرنا . . وعثر أيضاً على زهور برية . .

* * *

وعثروا أيضاً على بـاقة من الزهـور فى قاع التابوت . . لابـد أن أرملة الملك الشـاب قد ألقـت بها أو بعثـت بها فى اللحظـات الأخيرة رمزاً للـوفـاء والحزن عليه . وهذه الزهور قد قطفها من شاطئ النيل القريب . . وكانت هناك زهور وأغصان الـزيتون . ومن النبـاتات الغريبة عـن هذه المنطقة وعـن مصر كلها نبـات (تفـاح الجن) وهو مـن فصيلـة البـاذنجـان . وهذا النبـات ينمـو فى فلسطين فقط . وإن كانوا قد عثروا على شجرات منه فى جزيرة فيلة بأسوان . . وفى مقـابر كثيرة يجدون المشيعين يحملـون إلى الميت سـلالا من تفـاح الجن . .

ويقال إن هذا النبات مجدد للشباب والحيويـة الجنسية . ويقال إن أهل أسوان كانوا يستخدمونه مخدراً ، خصوصا إذا أسرف الإنسان فى تعاطيه . .

* * *

والـذى نتوقعـه هـو أن يصـاب الذيـن شرحـوا جثـة الملك بما أصيـب بـه آخرون . . وأن هذه التعويـذة أو التميمة السحرية سوف يكون لها أثـرها الذى نص عليه كتاب الموتى . فالكتاب طلب من الملك أن يصحو ليموت أعداؤه ، وأن يهدأ بالا لتعـرف الهلوسة عقول الـذين تجرأوا على هدوئه المقـدس الأبدى ـ وهذا ما حدث .

فالكيميائى ألفرد لوكاس قد أصيب بأزمة قلبية وبعدها مات . وهو يتمرغ على الأرض ويهذى بكلمات غير مفهومـة ويقال إنها كلمات فـرعونيـة . ولكن أحداً لم يتبينها بوضوح . .

وبعده أصيب الجراح الإنجليزى د . درى بجلطـة فى المخ ومات . ويقال إن هذا الجراح قـد أمسك ورقـة وقلماً وكتب هـذه العبارة : الفصـل ١٦٦ من (كتاب الموتى) ـ أى اللعنة عليه .

* * *

لاعرفنا كيف مات
ولا أرملته الطفلة

لايمكن حصر الكلمات التى قيلت عن الملك الشاب توت . . غير أن أصدق الكلمات وأقساها معاً هى التى قالها الرجل الذى اكتشفه : إن أهم ما فى تاريخ هذا الشاب هو أنه ولد ومات لأجده سليماً بعد ذلك !

ولكن هذه العبارة الموجزة عن حياة الملك توت عنخ آمون برغم أنها واضحة فإن حياة الملك نفسه لم تكن كذلك . فقد ولد هذا الملك فى ظروف غامضة . وعاش فى مجتمع تعليمى بالثورة الدينيةولم يكن المجتمع يشير إلى إله واحد ومنهج دينى واحد حتى توفى الملك النبى صاحب شريعة التوحيد : إخناتون . وبعد وفاة الملك النبى جاء زوج ابنته وابنه هو أيضا : توت عنخ آمون . .

أما كيف ظهر هذا الملك توت ، فذلك لغز من ألغاز الحياة الاجتماعية ومن ألغاز القصور والكهنوت فى مصر ، فالملك إخناتون قد رزق بثلاث بنات . . وكان حريصا على أن يكون له ولد يرث العرش . . ولذلك قد تزوج أخته سرًّا وأنجب منها هذا الولد غير الشرعى توت عنخ آمون . .

وكان من المألوف تعدد الزوجات الشرعيات وغير الشرعيات . وكان الملوك يفعلون ذلك ، وعامة الشعب ما داموا قادرين على الإنفاق على الزوجة والعشيقة أو ربما كان الملك حريصاً على نقاء الدم ، ولذلك كانوا يتزوجون بعضهم من بعض . أو كان الواحد يتزوج أخته أو ابنته . . حتى الآلهة كانوا يفعلون ذلك . فالإله أوزوريس تزوج أخته الإلهة إيزيس . . وسيت تزوج نفتيس . . وأصبح من المألوف أن تجد فى النصوص الهير وغليفية أن كلمة «أخت» تعنى «العشيقة» أو «المعشوقة» . . وفى كثير من الأحيان كان من الصعب على أكثر الناس دراية باللغة الفرعونية القديمة أن يفرق بين المعانى المتنوعة لكلمة «أخت» . .

ولكن كما حدث فى عصر الحريم التركى فى البيت العالى أن كانت زوجة واحدة هى التى يطلقون عليها «ست البيت» أو «ست الدار» . أو «ست الكل» ــ أى الزوجة الأولى . اما النساء الأخريات فهن «الحريم» أو دون ذلك . . وكان من المألوف ـ ولا يزال ـ أن تكون العشيقة أجمل وأقدر على الغناء والرقص . وكثيراً ما كانت العشيقة تأتى بأولادها وتعيش من الأسرة . ويكون لأولادها نفس حقوق الأبناء الآخرين فى الأسرة . وكانت المرأة فى مكان رفيع فى كل العصور الفرعونية . . ولذلك وجدنا صورة الزوجة مساوية فى المساحة والحجم لصورة الزوج . فقط كان الأطفال والخدم أقل من ذلك حجماً .

ومن أعجب البرديات التى بين أيدينا الآن واحدة فى مدينة ليون بهولندا . هذه البردية خطاب بعث به زوج إلى زوجته المتوفاة . ولم يتمكن من أن يضع هذا الخطاب فى تابوت زوجته ، فقد ماتت وهو يحارب . وإنما أودع خطابها

هذا تابوت سيدة أخرى ماتـت . . لعل السيدتين تلتقيان فى عالم الموتى وتنقل إلى الزوجة التى ماتت رسالة زوجها الحزين العاتب عليها . .

هذا الزوج توفيت زوجته فمرض بعد ذلـك . وظل هذا الزوج حزينا عليها ثلاث سنوات . وهو يتهم الزوجة بـأنها هى التى تسببت فى مرضه ويقول لها : ما الذى فعلته لك حتى يصيبنى المرض بسببك . أنا الذى أحببتك ؟ أنا الذى أتيت بجنود الملك وخيوله ليتدربوا أمامك . . أنا الذى جعلتهم يلقون الهدايا تحت قدميك . . أنا لا أستاهل منك هذه المعاملة القاسية . أنا الذى لم أخنك لا حية ولا ميتـة . . فلم أتـردد على بيت مـن تلك البيـوت . . وقد مضـت ثلاث سنوات على ذلـك . ولست آسفاً على إخلاصى لـك . . ولكنى آسف على أنك لا تعرفين ما الفرق بين الخير والشر . . بين الرجل الفاضل وغيره من الرجال الذين يخدعون زوجـاتهم . . لا بد أن يحكم الناس بيننا . . وفى ختام رسالتى أحب أن أقول لك ، ولكى تستريحى حيث أنت ، أننى لم أزر أخواتك الثلاث حتى الآن ـ ولن أفعل !

* * *

نعـود إلى الملك النبـى أخناتـون (أمنحتب الـرابع) فقـد كانـت له ثـلاث بنات : مريتـاتون وقد تزوجت شابـاً شارك أباها فى الحكم بعض الـوقت ، ثم توفى صغيرا . وابنتـه الثانية ميكتـاتون وقد ماتـت وهى صغيرة . وابنته الثـالثة إسمها عنخسنبـاتن وهـى التى تـزوجت الملك تـوت وكانـت فى التاسعـة من عمرها . ثم أجهضت مرتين . ومات زوجها الملك توت دون أن ينجب إناثاً أو ذكوراً .

وعندما مات الملك توت وجدت الأرملـة الصغرى نفسها وحدها . . لقد

كانت فى الخامسة عشرة من عمرها . وهى تعرف جيدا ماذا يدور فى القصور . وما الذى تقوله الزوجات والعشيقات والأرامـل . وما الذى يدبره الكهنة وقادة الجيش . صحيح أن زوجها لم يكد يجلس على العـرش حتى سقط من العرش أو أسقط من العرش . . أو مات دونه ـ ولكن من المؤكد أنه قتل ـ هذه حقيقة علمية .

أما الذين كـانوا أمام أرملة الملك توت يتربصون بها . فـالكاهن الأعظم : آى . . والقائد الأعظم : حور محب . .

أما الكـاهن فقد كـان يعرف بالضبط مـا الذى يريـد وقد أعد نفسـه لكل الاحتمالات . أما زوجتـه فقد كـانت مربيـة الملكة نفـرتيتى . وهـى أستاذة فى المناورات والمؤامرت . وقـد اتهمت بأنها وضعت السـم للكلاب الصغيرة . ثم وضعته للأبقار . ويقال إنها كانـت تجرى تجارب من أجل شىء كبير . ويقال إن السموم وصنـاعتها هـى إحدى الحيـل التى لجأ إليهـا زوجها فى منـاسبات عديدة . .

وكان أمام الأرملة الصغيرة وقت قصير جدا لكى تقعد على العرش . أمامها سبعون يوماً . . هـى الأيام التى يجب أن تمضى بين الوفاة والجنـازة . وبعدها يذهـب الملك الجديد فى احتفـال مهيب إلى تابوت الملـك الراحل ويفتـح فمه لتخرج منه الروح ، فإذا خرجت أصبح هو الملك . .

ولم تجد الأرملة الطفلة أمامها إلا حلا واحدا . فقـد بعثت برسالة إلى ملك الحيثيين فى آسيا الصغرى (تـركيا الآن) . تقول فيها : أعلم أن لـك عدداً من الأبناء الناضجين . وأنا اليوم أرملة مات زوجى ولم ينجب وليا للعهد . ولذلك أطمع فى أن تبعث لى بواحد من أولادك أجعله زوجاً وملكاً على مصر . .

وكانت الـرحلة تستغرق أسبوعين ذهابا ومثلها فى الإيـاب . ووقف رسول الملكـة أمـام ملك الحيثيين . وقـد أعلـن الملـك أنـه لايصدق الملكـة . وأنـه لايستبعد أن تكون هـذه حيلة لتتخذ من ابنـه رهينة ، تمهيداً لمطالـب أخرى . وعاد الـرسول مخذولاً . وأرسـل الملك رجـلا ينهى إلى الأرملـة الملكة مخاوفـه . ولكـن الملكة أكـدت لـه أنها لاتكـذب . وأنها لا يمكن أن تقبـل هـذا الهوان فتطلب إليـه رجلا، مع أن بـلادها مليئة بالـرجال . ولكن المشكلـة أن الملكة لاتريد زوجاً من عامة الشعب .

وأرسل لها الملك واحدا مـن أبنائه واسمه الأمير زنازا ليلقاها فى مـدينة طيبة عاصمة الإلّه آمون . ورأى القائد الأعظم حور محب أن يخف للحفاوة بالأمير. فلقيه جنود القائد الأعظم واغتالـوه . ولم يعرف أبو الأمير الحقيقة . ولكنه آمن بأن المصريين غدارون وأن الملكة كاذبة غادرة . !

وكانت الفرصة التى انتظرها الكاهن آى فذهب إلى تابوت الملك توت وفتح فمه لتخـرج روحه وأعلن نفسه ملكـاً إلى جانب الأرملـة الصغيرة ، ولمدة أربع سنوات . توفى بعدها فى ظروف غامضـة . . أما هذه الأرملة فقد ضاع صوتها وصداها وضوؤها وظلالها فى غبار الزمـن والثورة على الدين ورجال الدين التى جـاءت بعد ذلـك . . وربما كان القـائد حـور محب هو الـذى اغتال الأرملـة الصغيرة . لا أحد يعرف على التحديد . .

* * *

وأعلن حور محب نفسه ملكا . ولكى يخفى هذه الجريمة تزوج أخت الملكة نفرتيتى . وأمسك الأزميل والسكين وراح يمحو اسـم الملك توت ويفقأ عينى نقوشه وتماثيله أينما وجدها . ولم يكتف بـذلك بل قطع رءوس التماثيل ـ حتى

إذا قام صاحبها يوم القيامة كان مقطوع الرقبة !

كما أنه استخدم أحجار مدينة تل العمارنة وبنى منها أهرامات ثلاثة فى مواجهة مقبرة الإلـه آمون بمدينة طيبة .

وحطم الكثير من المقابر . وحطم قبر الكاهن الملك آى . .

ولكن شيئاً غريباً حدث أو لم يحدث : فهو لم يقترب من مقبرة الملك توت عنخ آمون . . ولا رجاله اتجهوا إليها . ولا حاولوا ذلك ! !

يقول عالم الآثار كريستيان دروش نوبلكور : أن هذا الرجل قد كان يمشى فى الهدم والبناء وفقاً لخطة علمية مدروسة . . هدم كل شىء تافه . وترك مقبرة توت عنخ آمون ، لأنها أروع من كل الذى هدمه فى ذلك الوقت !

فهل هـذه هى الحقيقـة ؟ هل هو أبقـاها لأنها أجمل وأروع ؟ هـل من المعقول أن رجـلاً يتحرك بهذا الحقد والتشفـى يهدم الأشياء التـافهة ويترك هـذا المتحف الجميـل أو هـذه التحفة الفنيـة ؟ هـل من المعقـول أن يترك لخصمه وغـريمه الملـك توت هـذه الآثار التـى تجعل حيـاته الآخـرة أروع وأبهى؟ ليس معقولا طبعاً . ولكن المعقول أن شيئاً ما منعه من ذلك . فما هو هذا الشىء ؟ . .

هذه هى القضية . لقـد كان العلم فى ذلك الوقت مـن ممتلكات الكهنة . هـم الـذين يعلمـون . وهـم الـذيـن يحتكـرون العلم . وهـم القـادرون على تطبيقه . . فلا يرى منهم الناس إلا هذه « المعجـزات » ـ أى وقوع أشياء غريبة عجيبة لأسباب ليست واضحة عندهم !

وليس غـريباً أن نجد الملـوك يهبون الكهنة الكثير مـن ثرواتهم . لماذا ؟ لأن

هؤلاء الكهنة قد قدموا خدمات جليلة للملوك . ما هى ؟ هذا ما لايعرفه الناس عادة . ولايقوله الملوك أو الكهنة . فالملك رمسيس الثالث (١١٩٧ ـ ١١٦٥ قبل الميلاد) قد منح كبير الكهنة فى عصره ٨٨٧٨٦ أسيراً . وهو حر فى أن يبيعهم أو يقتلهم فلا حسيب عليه ولا رقيب . وأعطاه أيضاً ٣٢ طناً ذهباً .

وفى القرن الحادى عشر قبل الميلاد تلقى كهنة الإلّه آمون ٢٤٠٠ مزرعة و٨٣ سفينة و٤٦ ميناء صغيرا ونصف مليون من الأغنام . .

والتقى الطب والسحر عند الفراعنة ، فكان الطبيب هو الشافى والمعافى وهو فرحة الدنيا كلها للأحياء وللأموات .

وقد ترك لنا الفراعنة عدداً كبيراً من البرديات التى تدل على ذلك .

* هناك البرديات المعروفة باسم برديات (ادوين سميث) فى ٢٢ صفحة . .

* وبرديات هيرست فى ١٧ صفحة . . وترجع إلى سنة ١٥٥٠ قبل الميلاد . .

* وبرديتان لكاهون عن الطب البيطرى وترجعان إلى ١٩٠٠ قبل الميلاد .

* وهناك ١٨ صفحة تعود إلى عصر الملك توت ومعها تراكيب لبعض العقاقير للأم والطفل . وفيها نرى هذه « التوأمة » بين الطب والسحر .

وفى هذه البرديات نجد تشخيص المرض وعلاجه ، ونجد كيفية الكشف على جسم المريض . وكيف يتحسسه الطبيب . . وكيف أن التهاب المعدة له علاقة بالكبد . . وكيف أن أوجاع المفاصل له علاقة بتسوس الأسنان . .

وكيف أن ضعف النظر له علاقة بأمراض أخرى كالسكر أو تآكل الأسنان . . وكيـف يمكن تنـاول الأدوية بعـد وقبـل وأثناء الأكـل وقبل النـوم . . أو على الريق . .

ولكن هناك كلمات أو تعبيرات أو طلاسم غير مفهـومة . . ولابد أن تكون هذه بعض التعـاويذ التى يستخدمهـا السحرة ، وإن كنا لانعرف أيـن يتلقى هؤلاء الأطباء علومهم . فالطب أيضاً واحد من العلوم السرية أو السحرية . . كما أن الفراعنة لم يعرفوا المستشفى . ومعنى ذلك أن العلوم كلها يتلقاها بعض النـاس سرًّا . . لأنهم يبخلـون بها على النـاس . فنجـد مـن التعبيرات أو الوصفـات العجيبة : الفئران المسلوقـة . . أو جلد الأحذية المحـروق أو وضع لبن الحامل فى العين الملتهبة . . أو وضع دم البرص على الجراح . .

وتحدثنا البرديات عن أرواح المدن ـ أى أن لبعـض المدن أرواحاً قوية . وأن هذه الأرواح لها سلطـان أو سيطرة على الناس عمومـاً . ومن الغريـب أن هذه الأرواح يقوم الكهنة بتسليطها على الناس . . ولكنهم لايسلطونها على الأحياء . وإنما على الأموات فقط . فهناك روح مدينة بويسطة ـ روح هذه المدينة يطلقها الكهنة لحماية المعابد والمقابر . .

ولابد أن كهنة آمون قد استخدموا كـل قدراتهم السحرية لحماية مقبرة الملك توت . . لحماية هـذه المقبرة من الذين يسرقون القبور والكنـوز الملكية . ونحن لانعرف على التحـديد مـا الذى أصـاب الذيـن نبشوا مقـابر الملـوك ولا كيف أصابتهم الأرواح . . ولكن الملك توت الذى جمع حوله عدداً من أشهر العلماء والأطباء هـو فى نفس الوقت قـد اختار ضحايـاه . . فكانت لعنته عـالمية . . لأنها أصابت رجالا عالميين فى كل العواصـم الأوربية والأمريكية والأفريقية . .

ثم إننا لانعـرف كيف مات مئات العمال الـذين حفروا الطريـق إلى مقبرته . . لابد أنهم تساقطوا مثل الحشرات فى مقبرته . . لايـدرى بهم أحد . . لقد ماتوا تراباً على التراب . . ماتوا يحملون سر اللعنـة معهم إلى الأرض . . وما كان لنا أن نعرف قوةالسحر الأسود لولا هؤلاء المشاهير من الأغنياء والمؤرخين والأثريين والأطباء .

ولكن لغز الملك أو سر اللعنة لم ينته بعد ـ كما سنرى !

إن كل إنسان يموت إلا قليلا

عالم أمريكى توفى يوم ١٩ سنة ١٩٦٧ عن ٧٣ عاماً اسمه جميس بدفورد . وبسرعة قام علماء آخرون بتنفيذ وصيته فأفرغوا أحشاءه تماماً . ثم ملأوها بالسوائل الكيماوية ووضعوه فى الجليد فى درجة ٢٠٠ تحت الصفر. وتكلفت هذه العملية الغريبة ثلاثين ألف دولار . وكان بذلك أول إنسان يدفن أو يحفظ فى الجليد. ولكن لماذا ؟ لأن هذا العالم الكبير عنده أمل فى أن يقوم العلم الحديث بإحياء بعض الخلايا فى جسمه !

وقبل ذلك بسنوات أعلن عالم آخر اسمه روبرت اتنجر أن الإنسان إذا مات ووضع فى الجليد بشرط أن تنخفض درجة الحرارة ١٥٠ مئوية مرة واحدة، فإن هذا يساعد بعض الميكروبات على أن تعيد لها الحياة فى أى وقت بعد ذلك . وحاول هذا العالم ونجح . .

* * *

وأجريت تجارب كثيرة على خلايا النباتات وبعض الحيوانات . وكان لهذه

التجارب نجاح فتح أبواب الأمل أمام العلماء أن يعرفوا أكثر عن سر الخلية الحية والميتة . والتى يمكن إحياؤها بعد ذلك .

وهناك قبائل بدائية قد جربت أشكالاً وألواناً من الدفن فى الجليد . فأهل الإسكيمو لهم قبور تحت الجليد . ولديهم خرافات تقول بأن بعض الأموات دبت فيهم الحياة . . وبعض الأموات تحركت رءوسهم أو قلوبهم . .

ولكن أحداً من الذين ماتوا لم يعد إلى الحياة فى كل العصور . غير أن العلماء عندهم أمل .

* * *

ولكن ما الذى جعل الفراعنة يدفنون موتاهم فى الغرب حيث تنتقل الشمس غاربة من هذا العالم إلى العالم الآخر . . عالم الموتى والأشباح والأرواح والحساب . . ما الذى جعل الفراعنة يختارون الأماكن الجافة أو المنعدمة الرطوبة . . هناك اعتقاد بأن الحياة مستمرة . وأنه لايوجد موت . وإنما الموت هو « حالة » ينتقل فيها الإنسان من حياة إلى حياة أخرى . والموت ليس موتا تاما . . وإنما هو تعطل للجسم وانطلاق للنفس أو للروح . . أو للقوى الحيوية أن تعمل فى مكان آخر أو فى عالم آخر . . وبعد الموت ينتقل الإنسان إلى دنيا النباتات أو الحيوانات . . أو إلى أن يكون نباتا أو حيوانا . . أو تكون له طبيعة النبات أو قوةالحيوان . . أن الملك تحتمس الثالث قد وصف روحه هو فقال : إن لها قوة الثور المنتصر فى حلبات مدينة طيبة .

وفى اللغة الفرعونية القديمة كلمات كثيرة تدل على أن الموت ليس إلا نوماً . . أو انتظاراً ليقظة أطول وأروع ـ أى يقظة مروعة أو رائعة .

وربما كان المؤرخ الإغريقى هيرودوت الذى زار مصر فى القرن الخامس قبل

الميلاد أول من حدث العالم الغربى عن الدفن والجنازة وعن التحنيط قبل ذلك عند الفراعنـة ، وكيف أن أهل الميت يختـارون نموذج التحنيط الذى ينـاسبهم اجتماعيًا وماديًا . فالحنوطى ـ نسبة إلى كلمة الحنوط ـ أى الحانوتى يعرض على أسرة الميت نماذج مختلفـة للتحنيط . ويعرض عليهم أسعـارها . وهم الـذين يختارون . ولكـن فى معظم الأحـوال يفضل أهـل الميت أن يجىء « الحنـوطى » ويفرغ أحشاء الميت ويصب فيها الزيوت المطهرة من المر والكافور واللبان التى يأتى بها الفراعنة مـن بلاط نبط ـ ربما هى بلاد الصومال الآن ـــ ثم يضع الملح ويترك الميـت سبعين يـومـاً . . وقـد ذكـر الأثـرى المصرى د . زكـى إسكنـدر تفاصيل كثيرة لهذه الطقوس فى واحد من كتبه .

أما الفقراء ، فإن « الحنوطى » يكتفى بإعطاء الملينات ، بعض الملينات ثم يفرغ أحشـاءه . وقد تعلم الفـراعنة استخدام الحقنـة الشرجية من طـائر « أبى قردان » الـذى يملأ منقـاره بالماء ويضعه فى مـؤخرته فى كـل مرة يصـاب فيها بالإمساك !

ولا أحد يعـرف بالضبط كيـف تعلم « الحنوطـى » هذا الفن . . لابـد أنه توارثه . ولا بد أن عدداً من الكهنة قد اشتغل بهذا الفن أول الأمر ثم تركه لغيرة من الناس . وبـرغم أهمية التحنيط فإن الـرجل الذى يحنط الجثـة لم يكن يلقى عظيم الاحترام . فقد حدث فى بعض عصور مصر القـديمةإن كان أهل الميت يطاردون الحنوطى ويضربونه بالطوب ـ بعض الفلاحين ـ أو عندما ينزل الجنين ميتا !

يفعلون ذلك الآن مع الطبيب أو مع الداية التى تأتى لهم بالأنثى أو عندما ينزل الجنين ميتا !

يقول لنا المؤرخ ديودورس الصقلى أن الكهنة المصريين كانوا يعرفون الكثير. ولكنهم كانوا يضنون بهذا العلم عن عـامة الناس . ويقول إن واحداً منهم قد عترف له بذلك . .

والمؤرخ هيرودوت قد روى لنـا ذلك مـن قبل . . وأكـد أن الكهنة لـديهم علـم غـزيـر لايبـوحون بـه إلا للملـك . ولكنهـم لم يسجلـوه فى ورق أو على لجدران. ولم يستبعد هيرودوت أن الكثير من العلم قد مـات مع أصحابه من لكهنة . .

* * *

نعود مرة أخرى إلى ماسبق أن ذكرت فى هذا المكان . من أنه من الممكن أن يعرف الفـراعنة بالتجـربة اليومية فـوائد أشياء كثيرة ، وأن يتوارثـوها ، دون أن يعرفـوا الأساس العلمى لذلـك . ونفس الشىء حـدث فى العصر الحديث فى بلاد الصين . فقـد عاشـت الصين ألوف السنين تستخـدم « الوخـز بالإبـر » لعلاج كثير من الأمراض . ونجح العلاج . ولكـن أهل الصين القدامى كانوا يعتقدون أن فى الجسم الإنسانى روحاً شريرة وأن هذه الروح تقتل بالوخز . وأن هناك أماكن ، أكثر من ٣٦٠ مكاناً ، لابد أن توضع فيها الإبرة، فإذا وضعوها ببراعة بعض الوقت ، اختفى المرض أو اختفت قوى الشر .

وفى سنة ١٨٩٣ اهتدى طبيب كبير اسمه هنـرى هيد إلى أنه من الممكن أن يكون الإنسـان مصابـاً فى مكان مـا فى جسمه ، ويكـون لهذه الإصابـة أثر فى مكان آخر . . كأن يكـون الإنسان مصاباً فى أسنانه أو فى حلقـه ثم يشكو من أوجاع فى ركبتيه . ومعنـى ذلك أيضاً أنه يمكـن وخزه بالإبر فى ركبتيـه ليشفى من أوجـاع أسنانـه أو صداع فى رأسه . . وهـذا بالضبـط ما يحدث فى الـوخز

بالإبـر فى العصر الحديث . ومن المؤكـد طبيًّا وعلميًّا أن الـوخز بالإبـر ينفع فى كثير من الأحيـان . ولكن لسبب آخـر غير أن يكون فى الجسم الإنسـانى روح شريرة . فكان أهل الصين قد عرفوا الفائدة ، ولكنهم لم يعرفوا التفسير العلمى لذلك . . ونفس الشىء يمكن أن يقال عن الفراعنة أيضاً . فقد هوجم الفكر الفلسفـى والدينـى عند الفـراعنة مـن الأديان السماويـة . واختلف المؤرخـون ورجال الدين على أهمية المذاهب الدينية الفرعونيةبما فى ذلك ديانة التوحيد عند إخنـاتـون . ونـاقـش المؤرخـون وجـه الشبـه بين مـوسـى عليـه السـلام وبين إخناتون . . وقيـل إنهما تعلما فى معهد دينى واحد ولم يختلـف أحد على الحكمة التى امتـاز بها موسى عليه السـلام . . ولا اختلفوا على الجو الفكرى والـدينى الذى وجدوه فى مصر الفرعونية .

ولكن أحداً لم يختلف على القيمة العلمية لمصر الفـرعونية . ولا كيف عرف الفراعنـة الكثير من النظـريات الطبية والفلكيـة . ولم يختلف أحـد على القدر العظيم الـذى بلغه الفراعنـة فى الهندسة والعمارة والـزراعة والملاحة ابتـداء من المؤرخ هيرودوت حتى أكثر العلماء تطوراً فى العصر الحديث . وخصوصاً هؤلاء الذيـن أتوا بـأجهزة لـرصد الأشعـة الكونيـة التى تنفـذ من بنـاء الأهرام لمعـرفة مداخله وحجراته ومحتوياته .

ولا على هـؤلاء الذيـن يدرسـون عالم الـروح واستخدام الفـراعنة لـلأرواح والأشبـاح والسحـر . . ولا كيـف أنهم اهتـدوا إلى سر الأرقـام وقـوى الحروف وكيف أنهم استخدموا القوى الخفية فى السيطرة على الناس وعلى الأشياء .

نعود مـرة أخرى إلى تجربـة مثيرة قام بها طبيب ألمانـى اسمه أرفين سـانتو . والشىء العجيب هو أن هذه البكتريا قد استخـرجها ميتة من جسم مات من

٣٥٠٠ سنة وذلك بأن وضعها فى محاليل غذائية بها محلول اللثيوم لمدة ١٧ ساعة . وتحركت . ثم عاشت . وكان ذلك حدثاً علمياً جليلاً .

أما المعنى فهو أن الجسم إذا مات ، كان معنى ذلك أنه لم يمت تماماً . وإنما فى داخل الجسم الإنسانى نوع من الحياة الكامنة . . . أو الحياة المتحفزة . فإذا أعطيت لهذه الحياة ، أو لهذه الأحياء ، فرصة أو جوًّا أو مناخاً فإنها تعيش .

فهل كان « إيمان » الفراعنة بالحياة بعد الموت مجرد إحساس دينى قوى ؟ هل هو إعتقاد علمى ؟ هل هو دين عند عامة الشعب : وعلم عند الكهنة ؟

وفى سنة ١٩٥١ هزت عالمة روسية اسمها لبشسكايا العالم ، عندما أعلنت أن بعض الخلايا يمكن إحياؤها مرة أخرى . فقد اهتدت إلى أن هناك نوعاً من الخلايا « ناقلة الحياة » من الممكن أن تقفز من كريات دموية متآكلة . . وهى التى قالت أيضاً : لا شىء ينتهى . لا شىء يموت كله . وإنما يموت بعضه . . وتظل هناك خلايا تحمل مشعل الحياة . تماماً كما ينام أهل البيت ويظل هناك بعض الحراس يشعلون سجائرهم ويتسامرون فالبيت قد نام أو مات إلا قليلاً !

وفى ورقة بردى فى برلين تحمل رقم ٣٠٢٤ مثل هذه العبارة الغريبة العجيبة : مات . ولكن هناك روحة تحرسه . إنها ليست بعيدة عنه . . إنها متصلة به كذراعه أو كساقه . إنه ينتظر الانتقال الذى يوقظه ويحييه . . إنه لم يمت تمامًا !

وهناك مصدر جديد لايقل غرابة عن هـذه الورقة البردية . ففى يوم ٤ مايو سنة ١٩٣٦ جلس جماعة من المشتغلين بـالأرواح فى لندن وأعلن الـوسيط أن روحاً من الأسرة الثامنة عشرة قد حلـت بجسده . وأنها مسيطرة عليه تماماً وأنها سوف تتكلم باللغة الفرعونية القديمة .

وبدأت ظاهرة معروفة عند الروحانيين بظاهرة « الاستغراب » أو «التغريب» أى أن الوسيـط يتكلم لغـة لا يعرفها ولم يـدرسها . . وهـذا ما حـدث . فقد كانت المتكلمـة سيدة اسمها « تليكا » . . ثـم قدمت نفسها بـأنها « نونا » أى التى ليس لها اسـم . وأنها حددت بالضبط العصر الـذى عاشت فيه وغـرقت فيه أيضاً . هـذه السيدة هى ابنة ملك بابـل التى تزوجها أمنحتب الثـالث أبو أخنـاتون . وبمـراجعة آثـار « تـل العمارنة » اهتـدى علماء الآثار إلى أن هـذه السيدة هى الـوحيدة من زوجات الملـك التى ليس لها اسم . فقـد محوا اسمها من كل الآثـار . . ثم إنهم أغرقوهـا فى النيل قبل ذلك . فقـد كان لها سلطان عظيم على الملك .

وبتسجيل صوت «الوسيط » وعـرض كل الذى راحت تهذى به على علماء الآثار أكدوا أن هذه لغة فرعونية صحيحة . وأن هذا الذى قالته يكشف عدداً من الحقـائق قد حـار المؤرخون فى الوصـول إليها . فلم يكـن أحد يعـرف أين ذهبت الزوجة البابلية . . ولا لماذا لم يرد اسمها فى أى أثر . .

أخطر من ذلك أن « تليكـا » هذه قد كشفت عن طريـق « الوسيط » كثيرا من أسرار الحيـاة وعلم الكهنـة . . فمثلاً قـالت : إن الفـراعنة كـانوا يعـرفون الكهربـاء . . وأنهم كانوا يعرفـون أشياء كثيرة عن الجاذبية الأرضيـة . ولكنهم كانوا يفضلـون استخدام الكيمياء أو التفاعـلات الكيماوية ، وأنهم اهتدوا إلى

سر الكثير من المواد . .

وعندما تحدثت عن كيفية بناء الأهرامات قالت : ليس صحيحاً أن الفراعنة قد لجأوا إلى السخرة فى بناء الهرم . وإنما كانت لديهم وسائل عجيبة لرفع الأحجار ولصقها وتثبيتها كما كانت لديهم أجهزة خاصة لرصد الفلك .

وقالت أيضاً : لقد كان الكهنة هم مصدر العلم وهم فى نفس الوقت حارسو كنوز العلم والمعرفة . وأنه سوف يجىء يوم قريب يكتشف العلم الحديث فيه كيف أن الفراعنه قد سبقوهم فى كل ما اهتدوا إليه . .

هذا التسجيل الصوتى عمره أربعون عاماً وقد نقله علماء كبار وترجمه إلى اللغات الأوربية علماء كبار . وشهد آخرون بأن « الوسيط » هذا لم يكن يعرف حرفاً واحدًا من اللغة الفرعونية القديمة .

فما الذى فعله الكهنة ، أى العلماء الكبار فى مصر القديمة ، من أجل الدفاع عن موتاهم العظام . . ما الذى أخفوه عنا ؟ وكيف ؟ وإلى متى ؟ إن المؤتمر الصحفى الذى عقده فى القاهرة د . عز الدين طه وبصورة مفاجئة كان قنبلة علمية وكان تغييراً لمسار البحث العلمى عن هذا الذى نسميه (لغة الفراعنة) كما سوف نرى !

وعدل خروشوف
عن دخول الهرم

كان أنطونيو يخاف أن تضع له كليوبطرة السم فى أى شيء فى أى وقت . فكان لايذوق شيئاً لم تذقه هى حتى أتوا له بكأس من النبيذ ونزعت كليوبطرة زهرة من شعرها وألقت بها فى الكأس . وامتدت يده ولكنها منعته . وأتت بواحد من عبيدها وأمرته أن يشرب الكأس . ولما شربها سقط ميتاً فقد وضعت السم فى الزهرة . . أرادت أن تقول أنها تستطيع أن تقتله ولكنها لم تشأ !

ولما كان يوم ٣ نوفمبر سنة ١٩٦٢ حدث شيء غير مألوف فى مدينة القاهرة . لقد عقد د . عز الدين طه مؤتمراً صحفياً . إنه أحد علماء البيولوجيا فى مصر . . لقد اهتدى إلى شيء عظيم وأراد أن ينقله إلى كل الناس . لقد درس حالة عدد من الأثريين والموظفين فى الآثار الذين ماتوا فى ظروف وبحالات غريبة والناس من حولهم : إنها لعنة الفراعنة !

أما هو فله رأى آخر : لقد لاحظ أن هؤلاء المصابين كانوا يعانون من مرض

اسمه « هرشة الأقباط » . وهى عبارة عن التهاب جلدى وضيق فى التنفس . أما السبب الذى اهتدى إليه د . عز الدين طه فهو : وجود بعض الفطريات . وهذه الفطريات قد رآها تحت الميكروسكوب الإلكترونى . ولكن د . عز الدين طه لم يقطع بأن هذا هو التفسير العلمى الوحيد لما يسميه الناس « لعنة الفراعنة » . وإنما قال : ربما كان هذا أحد الأسباب . ولذلك ضرب د . عز الدين طه مثلا عالياً للعالم الدقيق فى بحثه وفى النتائج التى بلغها !

لولا أن د . عز الدين طه قد أصابته « لعنة الفراعنة » . . فبينما كان فى سيارته متجهاً إلى السويس اعترضته سيارة أخرى . فصدمته ومعه اثنان من مساعديه . فتوفى فى الحال بعد دقائق من مؤتمره الصحفى .

* * *

وقبل ذلك بمائة عام فى جنوب أفريقيا ذهب طبيب اسمه د . جون وايلس إلى مغارات جبال روديسيا يبحث فى مخلفات الخفافيش . ودخل مغارة تحت الأرض بمائة وخمسين متراً . وفجأة وجد حبلا معلقاً فى الظلام . ولم يكن هذا الحبل سوى ألوف الخفافيش قد تماسك بعضها فى بعض . وتحركت كلها فى وقت واحد . . وهرب الرجل إلى خارج المغارة . وكان الهدف من هذه الزيارة أنه يريد أن يبحث عن طريقة للاستفادة من مخلفات الخفافيش كأسمدة عضوية . هذا الرجل ما الذى أصابه : التهاب رئوى . . وجرب جلدى عنيف . ولما نقل إلى أحد المستشفيات أرسلوا عينة من دمه إلى أمريكا . وفى أمريكا شخص الأطباء مرضه بأنه نفس المرض الذى أصيب به الأثريون الأمريكان وهم ينقبون فى وديان جمهورية بيرو عن الحضارة القديمة للانكاس . فهل هى تشبه لعنة الفراعنة ؟

وفى ممرات أوروبا أصيب العمال وهم يحفرون الجبال بنفس المرض . وخصوصاً عند حفر ممر « سان جوتار » وشخص الأطباء مرض العمال بأنه «نوع من فقر الدم الحاد » . وأطلق عليه الأطباء اسم مرض عمال الأنفاق والمناجم . ولاحظ الأطباء فى مخلفات المرضى نوعاً من « الديدان الصنارية » ثم الديدان الشريطية . واكتشف الأطباء أن الدودة الصنارية لها غدتان عند الأذنين تفرزان مادة سامة . هذه المادة السامة تصل إلى الجهاز التنفسى عن طريق الأوعية الدموية فى الأمعاء فتقضى على الكريات الحمراء . . ربما كانت هذه الطفيليات مثل لعنة الفراعنة . ولكن هذه الطفيليات ترهق الجسم ولكنها لا تقتله !

ولكن ليس مستبعداً أن يلجأ الكهنة فى حمايتهم للملك إلى استخدام السموم . فالكهنة قد عرفوا السموم واستخدموها . والوثائق التاريخية تؤكد ذلك . بل إن الملك مينا نفسه قد زرع أشجار السموم . . وكان الإغريق القدامى يستوردون السموم من مصر . نفس السموم التى انتحر بها سقراط . . بل إن حاكماً لآسيا الصغرى (تركيا الآن) كان يخشى أعداءه أن يضعوا له السم . هذا الحاكم اسمه يثيريت كان يضع لنفسه السم فى طعامه ليعتاد جسمه عليه ، حتى إذا شرب الكأس المسمومة التى يتوقعها ، لم تكن آلامه مبرحة !

وكليوبطرة كانت تعطى السم لخصومها . وهى يوم وضعت زهرتها المسمومة لأنطونيو ، وكاد يشربها فيموت ، نادت واحداً من عبيدها وشرب الكأس ومات . فقالت لأنطونيو : لقد وضعت السم فى أوراق الزهرة ولو كنت أريد قتلك لقتلتك . ولكنى لا أريد ! .

وفى سفر « العــدد » من التوراة حكايــة فرعونية قــديمة . أنهم كانوا يــأتون بالمرأة الخائنة ويعطونها شرابًا مسمومًا . فــإذا شربته اعترفت بخطاياها . . إن هذا السم هو نوع من اكتشاف الكذب .

وفى بــرديات ايبرز الفــرعونيــة تحذير مــن سموم العقــارب والعناكــب والثعابين . والترياق الذى يشفى منها . ومــن بين الأطعمة التى يتعاطاها الفراعنــة للشفاء مــن السموم : عســل النحل ومخلفــات الفتيات الصغيرة وعجل البحر . .

ولابد أن الفراعنــة قد عرفوا خــواص السموم . . فهناك سموم إذا تعــرضت لدرجــات حرارة عاليــة فسدت ، أو إذا تعرضـــت للأشعة فــوق البنفسجية . ولذلك فالقبور الفرعونية والأهرامات تحتفظ لهذه السموم بخواصها القاتلة .

* * *

وقد اكتشف طبيب ألمانى اسمه كونو ماير سر تقديس الفراعنة للضفادع . ففى سنة ١٩٥٠ لاحظ أن وراء أذنــى الضفدعة توجد غدة تفــرز ١٢ نوعاً من السموم الفتــاكة . فليس غــريباً أن تلقــى الضفادع هذا الاحترام العظيــم عند الفراعنة !

وإذا كــان الفــراعنة يعــرفــون السمــوم ، فــإنهم أيضــاً يعرفــون خصــائص «النباتات السحرية » . أما هذه النباتات فقد وصفها هيرودوت بأنها : الفجل والبصل والثوم . وكان منقوشاً على السطــح الخارجى للهرم مقدار ما استهلكه العمال المصريون من هــذه النباتات للوقــاية من الأمراض والأوبئــة والسموم . وبلغ عدد العمال الذين ماتوا أثناء بناء الهرم حوالى ١٨٥ ألفاً .

وأخيراً اكتشف الطبيب السويسرى د . بيشير فى كتابه « العقاقير السحرية» أن الفجل المصرى به مادة اسمها « رفانين » سهلة للذوبان فى الماء ، وأن هذه المادة تستخدم فى علاج الأمراض الرئوية !

* * *

وقصة الحكيم أمحتب مع زوجته من المعجزات الطبية . . فزوجته كانت تشكو من مرض « التراخوما » — أى التهاب الملتحمة فى عينيها . وقد تعب فى علاجها . ويقال إنه أتى بخنفساء وغلاها فى الزيت . ثم شطرها نصفين . ووضع كل نصف على عين زوجته . ولم يفلح هذا العلاج . ثم عاد فصنع عجينة ووضعها على الجفنين من الخارج . وشفيت الزوجة . وكاد أمحتب يقول بأن هناك نوعاً من « الديدان الصغيرة » أو الميكروب أو البكتريا . . ولكنه كان من المستحيل أن يقول ذلك لأنه فى حاجة إلى ميكروسكوب ! . .

أما العلم الحديث جدًّا فهو يقترب من الفكر الفرعونى أو الطب الفرعونى فقد اهتدى العلماء إلى نوع من السموم اسمه « سم الموتى » . هذا السم يظهر عندما يتحلل الجسم الإنسانى . . وهذا السم لا يخرج من الجسم نفسه ، وإنما من المواد التى يضعها « الحنوطى » ـ الحانوتى ـ على جسم الميت . . ثم إذا تعرضت للهواء . . صحيح أن الجسم الحى ، أى جسم ، يفرز مادة اسمها « الأجسام المضادة » . مهمتها أن تقاوم السموم التى تنفذ إلى جسم الإنسان كل يوم . ومن المهم جدًّا أن نسأل : هل تحتفظ هذه السموم بفاعليتها ألوف السنين ؟ ولماذا . . ؟ .

هناك بعض السموم العادية تفقد فاعليتها إذا تعرضت للهواء أو للضوء . ولكن سموم الموتى الفراعنة ظلت قوية المفعول عشرات القرون . والسبب أن

بعض البكتريا لا تحتاج إلى الأوكسيجين لكى تعيش ، لأنها تتغذى على المواد النباتية والحيوانية مثل الدهون والبروتين . . وهذا هو السبب فى أن جثث الملوك تظهر سوداء .

وقد اكتشف العلماء أيضاً أن بعض البكتريا الحية تفرز سموماً تؤدى إلى مرض الدفتيريا . . وبعضها قد أدى بالفعل إلى الإصابة بالا لتهاب السحائى فى المخ ـ وهذا بالضبط هو الذى أصاب أكثر الأثريين فى مصر !

هل يمكن أن يقال إن الفراعنة قد اكتشفوا الغازات المهلكة للأعصاب ؟ والجواب على ذلك : نعم . . لأن هذه الغازات عبارة عن أبخرة بسبب التحلل للأجسام الملكية التى ماتت . ومن هذا التحلل تخرج هذه الأبخرة التى تدخل أنف كل من يفتح مقبرة . . أو يقترب من المقبرة الملكية . وخاصة أن بعض المقابر كانت بها فتحات .

وهذه الغازات السامة تعتبر الآن من « الأسلحة القتالية » . فكل من أمريكا وروسيا وبريطانيا وفرنسا قد صنعت الغازات السامة أو الأسلحة الكيمائية أو الميكروبية . وبرغم أنها جميعاً قد وقعت على اتفاقية لاهاى سنة ١٨٩٩ واتفاقية جنيف المعدلة سنة ١٩٢٥ ، فإن كل دولة لديها مايزيد عن حاجتها من هذه الغازات التى لاتقضى على الإنسان فقط ، وإنما على الإنسانية كلها ـ إذا أرادت ! ومن المؤكد أن الفراعنة عرفوا ذلك . فهم قد عرفوا الفطريات التى تظهر على القمح . وتؤدى هذه الفطريات إلى الإصابة «بالنار الباردة» أى بالهرش العنيف والتقلصات فى العضلات والهلوسة بعد ذلك . . وقد عانت فرنسا وهولندا من فطريات القمح هذه فى سنة ١٨٢٨ وكذلك ألمانيا سنة ١٨٥٥ . وتمكن العلماء من استخلاص مواد سامة من فطريات

القمح هذه . ومن المؤكد علمياً الآن أن الفراعنة قد عرفوا أضرار هذه السموم واستخدموها . ولذلك ليس غريباً أن نجد هذه العبارة عند مقبرة توت عنخ آمون : « سوف يضربك الموت بجناحيه يا من تقلق سلا م الملك »!

ومن أهم أعراض سموم فطريات القمح هذه الهبوط المستمر والهلوسة والشلل . وإذا عدنا إلى أوائل الذين أصابتهم لعنة الفراعنة بسبب اشتراكهم فى فتح مقبرة توت عنخ آمون . فسوف نجد المكتشف كارتر . . ثم والد سكرتيره الذى أصيب بحالة هلوسة ثم ألقى بنفسه من البلكونة فمات . ثم الطبيب إيلين هوايت الذى أصيب بانهيار عصبى . وكان يقول للأطباء : لا علاج لى . . إننى أعرف السبب !

وكان يعرف « اللعنة » وظل وحيداً حتى الموت ! .

وكذلك د . زكريا غنيم كبير مفتشى الآثار الذى انتحر أيضاً !

والذى يقرأ كتاب « السموم التاريخية » المشهور يجد أن الفراعنة قد عرفوا السموم ذات الرائحة . . والسموم التى لا رائحة لها . . والسموم التى تغلى عند درجة ٢٦ مئوية وتكون لها أبخرة . . والسموم التى تقتل باللمس ، والتى تقتل بالرائحة . . والتى تقتل إذا لامست الأوكسيجين . . وعرفوا السموم المسحوقة والسموم النباتية المائية . . والسموم التى فى الحشرات الميتة فى المقابر . . والسموم التى تخرج من فتحات المقابر فى نفس اللحظة التى يقترب منها اللصوص . .

إن الذى حدث للسجين ر قم ٦٦٩٥٦ فى زنزانته بسجن سان كونن يوم ٢ مايو سنة ١٩٦٠ والمعروف باسم كارل تشمان والذى أفرج عنه ثمانى مرات

قبـل إعـدامـه . . هـذا السجين مـات بـالضبـط كما لـو كـان فى أيـام مصر الفرعونية . لقد أدخلوه الزنزانـة وأجلسوه على الكرسى وسحبوا الأرض من تحته . . وفى هـذه اللحظة انفتحـت أنبوبـة . . فى الأنبوبـة سم راح يغلى بمجـرد تعـرضه للهـواء . . وخرجـت الأبخـرة فمات السجين بعد نصـف دقيقة وهـو لايدرى أنه مات . .

وبـرغم أن هـذه التفسيرات العلميـة تساعـد إلى حـد كبير على فهم هـذه الاحتيـاطـات العجيبـة التـى وضعهـا الكهنـة ـــ أطبـاء وحكماء وعلماء مصر القديمة ـ خوفاً على حياة المومياء الملكية ، فإن هناك حوادث يصعب تفسيرها .

وربما هذا الخوف هـو الذى دفـع المخابرات السـوفيتية إلى أن تبعـث ببرقية لخروشوف تقول له : لا تدخل الهرم الأكبر لأى سبب !

ولم يدخل خروشوف الهرم ، ولم تذكر روسيا أى تفسير لذلك ـ كما سنرى .

* * *

إنها قوة خفية
تعطل قوانين الطبيعة

احترس هنا مواد مشعة ! جاءت هذه العبارة على لوحة من الرخام بالقرب من شلالات إيداهو بأمريكا فلم تكن هذه المواد المشعة سوى ثلاث جثث لخبراء ماتوا فى داخل مفاعل ذرى أصابه خلل فى الساعة التاسعة ودقيقة واحدة من صباح ٣ يناير سنة ١٩٦١ . واستغرق هذا الخلل جزءا على عشرين ألفاً من الثانية . وفى ذلك اليوم جاءت روافع إليكترونية وحملت الجثث وألقت بها فى توابيت من الأسمنت المسلح المبطن بالرصاص . والذى ينظر إلى وجوه الموتى الثلاثة ، يجد ذلك الهدوء العجيب الذى نعرفه فى الموتى من علماء الآثار . . إن نوعاً من الهدوء الخائف ، أو الخوف الهادئ هو أهم ما يميز ضحايا اللعنة الفرعونية !

وفى عام ١٩٤٩ أعلن عالم الذرة الكبير بوجارينى يقول : إننى أعتقد أن الفراعنة قد عرفوا جيداً قوانين التفكك الذرى . . وأعتقد أيضاً أن الكهنة كانوا

يعرفون اليورانيوم . ولا أستبعد أنهم استخدموا المواد المشعة فى حماية موتاهم بعيداً عن أيدى لصوص المقابر .

فهل لعنة الفراعنة هى هذا الدرع الذى لحماية موتاهم العظام : يقول بورجارينى أيضاً : إن أرضية المقابر الفرعونية يمكن تغطيتها باليورانيوم ويمكن وضع أى قدر من الأحجار ذات الإشعاع فيها أو على جدرانها . . وهذه الإشعاعات فى استطاعتها أن تقتل وبسرعة .

ولو رجعنا إلى سنة ١٨٩٩ لوجدنا العالم الفرنسى بيكريل قد اكتشف أن أملاح اليورانيوم تنطلق منها إشعاعات تشبه أشعة إكس ـ الأشعة السينية واهتدى العالم الألمانى رتنجن إلى نفس الشىء . فكلاهما قد اكتشف بالضبط ما اهتدى إليه الفراعنة من ألوف السنين . . وعلى أثر هذا الاكتشاف الحديث انتشرت موضة الساعات ذات الأرقام المضيئة . وكانت مصانع الساعات تستعين بالسيدات والأطفال فى وضع النقط الفوسفورية المضيئة على واجهة الساعة . وقد أدى استخدام هذه المواد المشعة إلى وفاة ٤٢ عاملة بالسرطان . ولم يعرف أحد سبب هذا النوع من الوفاة . . تماماً كما حدث لعلماء الآثار . وكانت أعراض الجميع واحدة . الإرهاق الشديد . الهبوط المستمر . . والاضطرابات المخية . . ثم الوفاة قبل الأوان !

ومن المؤكد أن القليل من المواد المشعة يكفى للقتل . . والمواد المشعة تختلف تماماً عن السموم . . فالسموم يمكن إبطال مفعولها . . أما المواد المشعة فهى تتزايد ولا تنقص ثم إنها تبقى فى الجسم ولا تتحول كيميائيًّا إلى شىء آخر . ووجودها يؤدى إلى خلل فى بناء الخلايا .

وأمامنا ألوف الأمثلة فى اليابان بعد انفجار قنبلتى مدينتى هيروشيم ونجازاكى . فقد كان معدل الوفاة بسبب الإشعاع الذرى ٢٠٠ سنويا . و١٥٠ تشوهاً خلقياً . ومن الحوادث المعروفة أن زورق صيد يابانياً قد سقط عليه مطر ذرى ـ أى مطر ملوث بالغبار الذرى ـ وكان ذلك فى أول مارس عام ١٩٥٤ بسبب قنبلة هيدروجينية فجرها الأمريكان فى جزر مارشال ، فمات ثلاثون بحاراً فوراً . . أما العشرون الباقون فقد ظهر عليهم الإعياء والضعف والهزال والهلوسة والإغماء حتى الموت ـ تماماً ككل علماء الآثار المصرية ! .

وقد ذكرت قبل الآن أن سبب إصابة علماء الآثار ولصوص القبور أيضاً هو إما الروائح التى تنبعث من القبر نفسه . . أو من تحلل المواد المشعة فى داخل المقبرة . . أو الأبخرة التى تنطلق من تحلل مواد التحنيط حول جسم الملك . . أو هى جميعا بعد أن تضاف إليها إشعاعات المعادن والتعاويذ الموجودة فى التابوت .

ومن أعجب الحوادث فى العصر الحديث ما أصاب قبطان الباخرة «تيتانيك» التى اصطدمت بأحد جبال الجليد فغرقت يوم ١٤ أبريل سنة ١٩١٢ ، وكانت أجمل وأكبر وأروع وأسرع البواخر التى ابتدعها الإنسان . وكانت الباخرة تحمل ٣٢٠٠ راكب مات منهم ١٥٠٠ و٤٠ طن بطاطس و ١٢ ألف زجاجة مياه معدنية و ١٧ ألف كيس بن و ٣٥ ألف بيضة .

وأعجب من ذلك أنها كانت تحمل مومياء فرعونية لواحدة من الكاهنات أو إحدى الأنبياء فى عصر الملك إخناتون ، وكانت هذه المومياء فى طريقها إلى أمريكا . . وقد كان قبطان الباخرة واسمه الكابتن سميث قد خاف على تابوت هذه الكاهنة فوضعه بالضبط وراء غرفة القيادة . وكانت هذه الكاهنة

قد عثروا عليها فى معبد فى تل العمارنة اسمه « معبد العيون » . وكانت صاحبة المومياء تحمل تعويذة تحت رأسها مكتوباً عليها : « انهض من سباتك يا أوزوريس . فنظرة من عينيك تقضى على أعدائك الذين انتهكوا حرمتك المقدسة ! » .

ولا أحد يعرف بالضبط لماذا كان كابتن السفينة مجنوناً قبل أن تغرق السفينة بيوم واحد . . ولا لماذا أصر على أن يقود هو السفينة . وهل صحيح أن الكابتن كان مخموراً أو كان مجنوناً ! ولماذا راح يصرخ طول الليل ويقول : الأشباح ! العفاريت ! إننى سيد هذه الجزيرة العائمة ! أفعل بها ما أشاء !

مع أن أحداً لم يكن يناقشه فى ذلك اليوم . فهو سيد السفينة لا جدال ثم إنه لا داعى مطلقاً لأن يتولى قيادة السفينة وكل شىء فيها وحولها هادئ تماماً؟! .

لابد أن الفراعنة عرفوا المواد المشعة . .

ونحن نعرف أن اليورانيوم إنما يوجد فى المناجم التى يوجد بها الذهب . والمصريون قد عرفوا الذهب . . وكانت لهم مناجم ، وليس من المعروف الآن إن كانت هذه المناجم ماتزال عامرة بالذهب . . ولكن من الاكتشافات الغامضة أن علماء الآثار عندما نزلوا فى أحد المناجم ، وجدوا نقشاً على الحائط يقول : هنا الكاتب إحتجب ! فما الذى يفعله الكاتب فى هذا المكان . ؟ ليس صدفة أن ينقشوه تحت الأرض . . ولكن السبب ليس معروفاً عند أحد . .

إنهم الكهنة الذين يعرفون . . وهم الذين يخفون علمهم معهم فى قبورهم

بعيداً عن الناس .

وعندما ننظر إلى حضارة مصر الفرعونية سوف تكون الأهرامات فى قمة الألغاز العلمية . . لا أحد يعرف لماذا بنوها ؟ ولماذا اختاروا هذا الشكل بالذات ؟ وكيف استطاعوا بهذا الاقتدار المنظم أن يصمموها دون خطأ وبدقة فلكية ماهرة .

إن عالم الفيزياء لويس الفاريز ـ أو الفاريث ـ الحائز على جائزة نوبل والذى قرر سنة ١٩٦٥ الاستعانة بالأشعة الكونية فى معرفة أسرار هرم خفرع يؤكد أن الفراعنة قد عرفوا أشياء كثيرة لم نهتد إليها بعد .

فقد جاء العالم الفاريز بثلاثين طناً من الأجهزة ووضعها فى داخل الهرم وفى أماكن مختلفة . . إنه يريد أن يعرف إن كانت هناك غرفة أخرى فى هرم خفرع غير التى اكتشفها سنة ١٨٨٠ العالم الأثرى الإيطالى بلتسونى . ولم يكد الفاريز يكمل تركيب الأجهزة حتى نشبت حرب ١٩٦٧ . وعاد بعد نهاية هذه الحرب يجرى أبحاثه مستعينا بكبار العلماء المصريين : د . أحمد فخرى الأثرى المعروف و د . فتحى البديوى عالم الفيزياء النووية . وانتهى الفاريز من أبحاثه إلى أن هرم خفرع ليست به إلا غرفة واحدة .

ونظرية الفاريز تعتمد على التقاط الأشعة الكونية التى تتحول إلى ذرات ميزون قادرة على النفاذ من أية مادة . هذه الذرات سوف تكون أسرع فى اتجاهها إلى الأجهزة إذا صادفت تفريغا أو غرفة فى داخل الهرم .

وعلى الرغم من أن هذا الأسلوب الحديث فى الأشعة الكونية قد حدد أنه لا توجد غرفة أخرى ، فإن العلم لم يجد لنا إجابة عن هذا

السؤال : ولماذا الهرم ؟ أى ولماذا الشكل الهرمى ؟

وفى سنة ١٩٦٤ زارنا خروشوف سكرتير الحزب الشيوعى السوفييتى . . وأقام فى مصر ١٦ يوماً وشهد تحويل مجرى النيل . . وكان من الطبيعى أن يذهب إلى مينا هاوس التى أنشئت قبل ذلك بمائة عام ، وأن يسمع قصة تشرشل وروزفلت وتشانج كاى شيك الذين اجتمعوا فى هذا المكان سنة ١٩٤٣ . . وقد قيل له أن تشرشل وتشانج كاى شيك قد دخلا الهرم . أما روزفلت فلم يدخل فقد كان مشلولا يتحرك على عجلات . وكان من المتفق عليه أن يدخل خروشوف الهرم الأكبر . . لولا أن جاءت برقية عاجلة من المخابرات السوفييتية من موسكو تقول : ننصح بشدة ألا تدخلوا الهرم الأكبر!

ولم يدخل خرروشوف الهرم . . ولا اعتذر عن البرنامج الذى أعد له . ولا أعلنت السفارة تفسيراً أو تبريراً لهذا التغيير المفاجئ !

فما الذى أخاف الروس من الهرم الأكبر ؟

إن فى مصر ٦٩ هرماً . . وهذه الأهرامات لم تظهر فجأة على أرض مصر . . وإنما هى صورة للتطور المعمارى والعلمى . . فقد قام المهندسون المصريون بتجارب عديدة من أجل بناء الهرم ابتداء من الملك سنفرو حتى الملك خوفو . . فهل هذه الأهرامات مقابر للملوك ؟ هل هى مخازن للأسرار العلمية والفلكية والطبية ؟

إننا لانعرف بالضبط . . أن هرم خوفو الذى استغرق بناؤه عشرين عاماً قد عدله المهندس ثلاث مرات . . ولكن هذا التعديل يضاعف من دهشة العلماء والمهندسين . . إن المصريين كانوا يستخدمون مقياساً اسمه « ال » أو « عل» وهو عبارة عن سبعة أشبار وكل شبر أربع أصابع . . وقاعدة الهرم وحدها

٣٦٥,٢٤ «ل» وهو بـالضبط عـدد أيام السنة الشمسيـة تماما ووفقـاً لأحدث المقاييس الفلكية ! وعلى الرغم من أن الـ « ال» هذا ليس مقياسا دقيقا . فإن أبعاد الهرم طولا وعرضا وحجما ووزناً فى غاية الدقة .

ومن الملاحظ أن التحنيط الشديد التعقيد كان سابقاً على بناء الأهرامات . فلما بنيت الأهرامات لم يعد « الحنوطى » ـ أى الحانوتى يلجأ إلى استخدام المواد الكثيرة لحماية جثمان الميـت . . لماذا ؟ لأن الشكل الهرمى هو أنسـب الأشكال لحفظ الجثث من التعفن . . وحفظ اللحوم جميعـاً من التعفن ـ كما ذكرت من قبل .

والشيء الغريب أن هذا الشكل الهرمى يصيـب العقل بالخلل أو بالخبل ـ حدث ذلك مئات المرات . . والمرشدون السيـاحيون يعلمون هذه الحقيقة . . فكثيراً ما صرخ السيـاح . . أو أغمى على سـائحة عنـدما أحسـت بضربة فى بطنها أو رأسها . . ولم يكن هناك أى أحد بالقـرب منها ـ لعل ذلك هو الذى أفزع المخابرات السوفييتية على رجلها فى القاهرة .

إن قصة بول برونتون البريطانى الذى استأذن مصلحة الآثار المصرية فى أن يبيت ليلة فى غرفة الملك أحمس نموذج لذلك . . يقول فى مذكراته : « أمضيت بضـع سـاعات فى الممـر الكبير . . ثـم اتجهـت فى ضـوء مصباح إلى غـرفـة الملك . . واتجهـت إلى أحد أركانها وبـدأ بعد ذلـك الفزع الأكبر . . صفير فى أذنى . . وشرر يخرج من عينـى أو يدخل عينى . . ورائحـة ثقيلة تضغط على صـدرى . . وإحساس بـأن أمامـى أشباحـاً وأشكالاً مـروعة تـروح وتجيء . تقترب وتبتعـد والأرض من تحتـى تعلـو . . . والسقف مـن فـوقى يهبـط . . وجسمى ينتفخ . . ثم يتضاءل . . ولسانى لايطـاوعنى عندما أحاول أن أبتلع ريقى . . ثم إننى لا أجد ريقى . . وأخيراً وجـدتنى عاجزاً عن الصراخ وكان

العرق جليدياً . . وحاولت أن أتسلل من الغرفة ولكننى وجدت نفسى مشلولاً تماماً .

وفى سنة ١٩٤٢ توفى اثنان من علماء الآثـار . . وربما كان هذا الحادث هو الذى لفت عيون العلماء فى العالم كله إلى هذه اللعنة الفرعونية .

ففى مدينة القدس يوم ٢٨ يوليـو سنة ١٩٤٢ توفى العالم البريطانى فلندرر بترى .

وتوفى قبلـه العالم الأمريكى جـورج ريزنر . . وكـان هذا الرجل هـو الذى اكتشف مقبرة أم الملك خوفو . . وهو أول من أذاع حـديثاً فى الراديو من غرفة الملك فى هرم خوفو سنة ١٩٣٩ . . هـذا الرجل توفى فى ربيع سنة ١٩٤٢ . . لقد دخـل الهرم الأكبر ، واستلقى مرهقـاً فى غرفـة الملك . . ثم شعـر بهبوط شديـد . . وحملوه إلى خارج الغـرفة . . ونقلوه إلى خيمـة له بالقـرب من الهرم مغمى عليه حتى الموت !

هل هـو شكل الهرم ؟ هـل هناك مـوجات كهـربية لا نعـرفها ؟ هـل هذا الشكل الهرمى يحتجز الطاقة ثم يطلقها ؟ هل هو يكثف الأشعة ثم يصيب بها من يزورونه ؟ إن أحداً لا يدرى تماماً!

إن الزعيـم الشيوعى فـريدريش إنجلـز قد أعلن فى سنـة ١٨٧٨ أن حرب بروسيـا وفرنسـا قد اعتمـدت على أعظم مستـويات العلـم الحديث فى ذلـك الوقت . . لأنها استخدمت المدافع التى تلقى قذائفها على الجنود من بعيد ! إن هذه العبارة تضحكنا الآن ! فقد تجاوز العلم مـرحلة استخدام المدافع . . لقد استخدم القنابل الذرية . حتى القنابل الـذرية أصبحت موضة قديمة . فقد ظهر شـىء أحدث من ذلـك . . ظهرت أشعـة « الليزر » التى اكتشفـت سنة

١٩٦٠ هذه الأشعة عبارة عن تكثيف الأشعة الضوئية ، وإطلاقها على شيء فتنفذ منه إن الإنسان يستخدم الليزر فى حفر الأنفاق وفى ترقيع قرنية العين أيضاً !

ولنفرض أن د . تيودور مايمان الذى اكتشف الليزر قد اتفق مع رجاله على أن يحتفظوا بسر هذه الأشعة . . وأن الذى يبوح بها سوف يقتله فوراً . . وأنهم أقفلوا على أنفسهم أحد المعامل ثم ماتوا . . وبعد أن ماتوا وجدنا عندهم مصابيح فى داخلها أسلاك حلزونية . . فهل كان يتصور أحد أن هؤلاء العلماء ـ أو الكهنة ـ قد عرفوا أشعة الموت . هل يتصور أحد أن المصباح العادى جدًّا إذا قمنا بتكثيف ضوئه تصبح أشعته مميتة . فمن الذى يستطيع أن يقول لنا بالضبط ما هذا الذى عرفه الفراعنة . ؟ ما هذا الذى اهتدى إليه الكهنة ؟ ماذا تقول هذه المخلفات العادية جدًّا التى تركوها وراءهم . . إنها لاتزيد عن هذه المصابيح التى يمكن أن يتركها مكتشفو أشعة ليزر .

ولكن عالماً مصريًّا اسمه د . عمر جهيد قد أعلن فى سنة ١٩٦٩ أن الذى يحدث داخل هرم خفرع يتناقض مع كل قوانين العلم الحديث والإلكترونيات!

وكان د . عمر جهيد هذا يتحدث عن الأشرطة الضوئية والصوتية التى سجلتها الأجهزة التى وضعها د . الفاريز تحت وفى داخل هرم خفرع . وقال د. جهيد أيضاً : « إن الذى أراه أمامى شىء غير طبيعى . . إما أن تكون هناك غلطة كبرى فى الهرم نفسه فتؤثر فى هذه الأجهزة ما ترصده . وإما أننا أمام قوة كبرى لانفهمها . . لا أعرف لهذه القوة اسماً . . هل هى لغز . . هل هى سر . . هل هى لعنة الفراعنة . . هل هناك قوى خفية تعطل قوانين الطبيعة وبذلك تلغى كل ما تعلمناه من بديهيات رياضية وقوانين طبيعية . .

أنا لا أعرف هذا السر الغريب العجيب !»

هل الفراعنـة تركوا سموماً . . هـل تركوا مواد مشعة . . هـل استطاعوا أن يختزنوا الطاقة وأن يكثفوها ثم يطلقوها بعد ذلك ! لا أحد يعرف . إن الحضارة الفرعونية ما تزال تحتفظ دوننا بكل أسرارها !

لايــزال معنــا وعلينــا:
طبيب فرنسى مات من ٤٠٠ سنة

أراهن أنك لن تعرف بالضبط ما الذى يفعله هذا الرجل فى غرفة مظلمة فى منتصفها منضدة خشبية . عليها كوب من الماء . والرجل يغمس أصابعه فى الكوب ، ويضع قطرة على جبهته . . ثم على خديه . . ثم بعض الماء يلقيه على قدميه العاريتين . وأخيراً يغمس طرف الثوب فى الكوب . ويظل يحملق فى الماء ساعات ويمد يده إلى الورق ويكتب . ثم يرتمى على الفراش نائماً حتى الظهيرة ـ انتهى المشهد اليومى فى أعلى سطح أحد بيوت باريس فى أواخر القرن السادس عشر!

هذا الرجل هو أشهر من عرف الطالع فى كل العصور . إنه طبيب فرنسى (١٥٠٣ ـ ١٥٦٩) . كان يواجه الوباء والأمراض ويشفى الناس . وكانت له وصفات لايقرها الأطباء . واشتهر بين الناس بأنه يعالج الناس روحياً . وأنه ليس صحيحاً أنه كان يشخص الأمراض وإنما كان يلمس المرضى ويعطيهم بعض الماء الدافئ والكثير من الأعشاب . وضاق به الأطباء . وأقبل عليه

الناس . . وعندما اجتاحت الأوبئة فرنسا جنوباً وشمالاً ، كان هو الرجل الذى يخوض الموت ويعطى الأمل ويخفف الأوجاع .

* * *

ولكن هذا الرجل واسمه ميشيل نوسترادام الشهير باسم « نوستراداموس » كانت له اهتمامات أخرى . كان يقرأ فى الكتب التى يسمونها الكتب السوداء أو كتب السحر الأسود أو مخطوطات التنجيم . وكان هذا الاهتمام فى سن مبكرة . ولاحظ الذين حوله أنه يتوقع أشياء عجيبة . . ثم تقع . وقبل أن يصارح الناس بهذه النبوءات كان يسجلها سرًّا ، ثم ينتظر أن تتحقق . وكان الكثير جدًّا يتحقق بصورة أذهلته . وفكر أن يعتزل الطب وأن يتجه نهائيًّا إلى التنجيم . ومن الغريب أن هذا الرجل الذى توقع أحداثاً رهيبة وقعت فى القرن العشرين لم يتوقع أن تموت زوجته وابنه وابنته معاً !

إن هذا الحادث الرهيب قد هز صورته ووزنه ونبوءاته عند الناس . ولكنه استطاع أن يسترد قدرته الخارقة عندما استدعاه الملوك والأمراء ورجال الدين . .

يقال أنه حدث فى إحدى المرات وهو مايزال شابًّا صغيراً أن رأى أحد الرهبان فى الطريق ، فركع له قائلا : أهلاً يا صاحب القداسة ! .

واندهش الناس . ولكن هذا الراهب هو الذى أصبح بعد عشرات السنين البابا سكستوس الخامس !

وحدث مرة أخرى أن دعى نوسترادموس للغذاء . فقال لصاحب الدعوة لديك اثنان من الخنازير : واحد أبيض وآخر أسود . . وأنك سوف تذبح لنا الخنزير الأبيض أما الخنزير الأسود فسوف يأكله الذئب !

وانتهز صاحب البيت هذه المناسبة وقال للطاهى : اذبح لنا الخنزير الأسود بسرعة . وجاء الطعام وقال نوستراداموس : بالضبط هو الخنزير الأبيض . ولكن صاحب الدعوة أكد له أن هذا الخنزير الأسود . ولكن نوستراداموس أصر على أنه الأبيض . وجاء الطاهى واعترف بأن الحنزير الأسود الذى ذبحه تسلل إليه الذئب وخطفه وهرب !

وعشرات الأحداث التى تنبأ بها فى عصره . . ولكن الغريب العجيب فى أمر هذا الرجل أنه أفزع فرنسا وإيطاليا وربما أوربا كلها فى ذلك الوقت ، فلا يوجد بيت لم يترك فيه ورقة . وعلى الورقة كل ما سوف يحدث للأسرة من أولها لآخرها من أحداث سيئة . وهذا لايكلفه أكثر من أن يذهب إلى غرفته ويحملق فى كوب الماء . ويقول إن سطح الماء يتحول بسرعة إلى صفحة متحركة ـ تماماً كشاشة السينما ـــ وعليها تجرى الأحداث فى كل اتجاه . . وعلى فترات متباعدة . . عشرات السنين أو مئات السنين . وهو يصف الذى يراه . ويقول نوستراداموس : إن عندى موهبة . هذه الموهبة عبارة عن قوة . القوة تملأ جسمى كله . تهزنى بعنف . وأسمع صوتاً وأرى نوراً . . ولا أعرف إن كنت أنا الذى يرى أو أن أحداً يرى لى ويرى بى . . أو كنت أنا الذى أسمع الأصوات . . أو أن قوة أخرى تسمع لى أو تسمعنى . . كل هذا يجرى أمام عينى على سطح الماء الذى يشبه شريطاً يتحرك .

ويقول وهذا أعجب : فى بعض الأحيان أرى الصورة الواحدة تتتابع متكررة مئات المرات ـ تماماً كالذى يحدث لنا ونحن نضبط التليفزيون !!

* * *

وعندما استدعته ملكة فرنسا كاترين دى مديتشى وضعت له ثمانية خيول

على طول الطريق . فوصل إليها من جنوب فرنسا بعد شهر . ولم يكد يصل إلى باريس حتى استدعته . وجاءها الرجل وطلبت إليه أن يرسم طالع أبنائها السبعة فوراً . ومكثت معه أربع ساعات . . وكل ما قاله لها هو أن أولادها سيكونون جميعاً ملوكاً . ولكنه لم يشأ أن يصارحها بالكوارث التى سوف تصيبهم جميعاً !

فقد كان خائفاً أن يتهمه أحد بالكفر أو يتهمه أحد بالاشتغال بالسحر الأسود . . وكان ذلك زمن « محاكم التفتيش » التى تصدر أحكامها العنيفة بالموت حرقاً وغرقاً لكل من يخرج على الديانة الكاثوليكية لأى سبب تافه . وكان هو وأسرته قد تحولوا من اليهودية إلى المسيحية منذ وقت قريب . ومن الحوادث التى جعلته يهرب ست سنوات بعيداً عن باريس أنه رأى واحداً يصيب تمثالاً من البرونز لمريم العذراء . فقال له :

ـ هذا كفر !

وأبلغ عنه الرجل . وأتوا به يسألونه فقال : نعم إن هذا التمثال الردىء يعتبر كفراً بكل القيم الجمالية !

هذا الخوف هو الذى جعله يصدر تقويماً سنوياً غامض العبارة . . وعلى شكل رباعيات تجىء فيها كلمات لاتينية ويونانية وعبرية . . وكان من عادته أن يجعل التقويم الواحد عبارة عن مائة رباعية . . وقد أعلن أنه يتنبأ بما سوف يحدث حتى نهاية سنة ٢٠٠٠ ويتوقع حرباً عالمية لم تعرف لها الإنسانية مثيلاً يوم ٢١ يونيو سنة ٢٠٠٢ . .

ومن الخوف الشديد أيضاً كتب يقول : إن كل كتاب كنت اقرؤه أقوم بإحراقه فوراً حتى لايقع فى يد أحد !

ولكنى أستبعد أن يفعل ذلك رجل باحث وطبيب . وإنما أراد أن يطئمن رجال الدين إلى أن بيته خال من هذه الكتب السرية أو السحرية .

* * *

وقد اعترف نوستراداموس بأنه لم يرفع عينيه عن كتاب قديم اسمه « أسرار مصر » . وهذا الكتاب من تأليف يامبليخوس اليونانى . وأنه وجد فى هذا الكتاب علماً لم يعرفه أحد . وأن كتاب « أسرار مصر » ليس إلا أسرار الكرة الأرضية . وأنه يستطيع عن طريق هذا الكتاب أن يعرف المعابد كلها . .

وفى سنة ١٦٤٩ كان الكاردينال مازاران متسلطاً على القصر الملكى . ولم يستطع خصومه أن ينالوا منه شيئاً . ولكنهم اهتدوا إلى كتاب نوستراداموس «النبوءات » وراحوا ينشرون ماتوقعه نوستراداموس للكاردينال . . وتحطمت أعصاب الكاردينال وراح يجمع الكتاب من كل مكان ، ولكن عاد خصومه يبعثون به على شكل خطابات . . وأحياناً يضعونه فى سلال الفاكهة ويعلقونه على الأشجار ، ويضعونه على المقاعد فى الكنيسة ـ وتحققت كل نبوءات الرجل ضد الكاردينال !

ولابد أن الإمبراطورة جوزفين هى التى أعطت نسخة من هذه « النبوءات » لزوجها نابليون . وهى التى أشارت إلى مواقعه العسكرية . وإلى زحفه على روسيا وانسحابه الرهيب منها . . وعندما أشارت إلى موقعة واترلو وانهزامه المؤكد أمسك الكتاب وأحرقه فوراً ـ وربما كان هذا هو الكتاب الوحيد الذى أفزع نابليون . وأمر بإحراقه فوراً !

وعرف نابليون فيما بعد أن هذا الرجل قد تنبأ أيضاً بقيام الثورة الفرنسية . .

وبإعـدام زعمائها . . وهـو أيضاً الـذى تنبأ بنفـى نابليـون إلى جزيـرة سانـت هيلانة . .

وبعـد هزيمـة نـابليـون عاد النـاس إلى الكتـاب يقلبـون فيه . وضـاقـت العائلات المالكة بهذا الكتـاب . وأخفوه . بل إن أحد الأمراء قد أصـدر كتاباً مزوراً . وجعل لهذا الكتـاب شكل الرباعيات . ولكـن الناس لم تنخدع بهذه الطبعة الزائفة ، وعادوا يقتنون الكتاب العجيب للنبوءات الغامضة . .

وفى خريف ١٩٣٩ بعد أن أعلنت ألمانيا الحرب على أوربا ، واشتعلت نار الحرب العالميـة الثانية . . حـدثت هذه الـواقعة المؤكـدة . كانت زوجـة وزير الدعايـة جوبلز تتمدد فى فـراشها . وسحبت من تحت المخـدة كتاباً صغيراً . وهزتـه . لعله يصحو من النـوم . ولكنه كان مـرهقاً . فهزته بعنـف وفتحت عينيه بالقوة . وأدنت المصباح وقالت له : اقرأ

وأشارت إلى بعض الفقـرات فى كتاب « النبوءات » لنوستراداموس وكانت الفقرات التـى تتحدث عن هجوم هتلـر . وزحف هتلر على روسيا . وعـودته مهزوماً . .

وكان هتلر يعتمد على أحد العرافين . .

وكـانت وزارة الـدعـاية تستخـدم أحد الـذيـن يقرأون الطـالـع ويكتبونـه وينشرونه فى الصحف وفى النشرات الدعائية . وبدأت الطائرات الألمانية تلقى بنبوءات نـوستراداموس فى كل الأراضى التـى هاجمتها ألمانيا . . وخصـوصاً فى فـرنسا . ولكـن الكميات الأكبر والأضخـم هى التـى ألقت بها على الشعـب الإنجليزى .

وفى وثائق حرب بريطانيا مع ألمانيا تكلفت الحكومة البريطانية ربع مليون جنيه لتقاوم نبوءات نوسترادامـوس وذلك بأن تنشر نبوءات مضادة لنفس الرجل ، ولآخرين من علماء التنجيم وقراء الكف وضاربى الودع وفاتحى المندل ـ وكل ذلك ثابت فى سجلات الحرب البريطانية . .

بل إن واحداً من كتب المخابرات البريطانية قد روى قصة حرب الأعصاب التى سلطوها على هتلر نفسه عندما حاولوا استخدام ذلك « العراف الخاص » لهتلر . ونجحت المخابرات البريطانية فى أن تجعل هذا العراف يتنبأ لهتلر بالفشل فى وقت مبكر . وقد غضب عليه هتلر . ثم عاد فاسترضاه . وكان من بين الحيل التى لجأت لها المخابرات البريطانية : نبوءات هذا الطبيب الفرنسى !

ومن أعجب نبوءات هذا الرجل : مصرع موسولينى وانتحار هتلر . . ومقتل الأخوين كنيدى . . وسقوط بيرل هاربور أمام القوات اليابانية . . ومصارع عشرات الملوك والرؤساء .

فمثلاً عندما تنبأ بمقتل كنيدى كانت عبارته هكذا : الرجل العظيم فى أعظم دولة تصرعه صاعقة فى عز الظهر . . وأخوه بعد ذلك » .

وتنبأ أيضاً باحتراق الأسطول الفرنسى فى الإسكندرية ، فقال : وتنبأ أيضاً باحتراق الأسطول الفرنسى فى الإسكندرية ، فقال : يغرق الأسطول بالقرب من البحر الأدرياتيكى . ومصر تهتز كلها . والدخان يتصاعد ويحتشد المسلمون » .

فقد حدث ذلك سنة ١٧٩٩ عندما وصل نابليون إلى مصر وأرسى سفنه فى مياه أبو قير عندما جاء نلسون بأسطوله وأغرق المراكب الفرنسية . .

وتوقع حـرب ١٩٤٨ واستيلاء اليهود على أرض فلسطين قال : « فـالدولة الجديـدة تحتـل أرضـاً حـول سـوريـا ويهوديـا وفلسطين . . وتنهـار القـوات البربرية» .

القوات البربرية هي القوات غير المسيحيـة . فقد كان من المألوف في أوربا أن يوصف كل من ليس أوربيًا بأنه بربري ، وبعد ذلك أصبح البربري هو كل من ليس مسيحياً . فـالقوات البربرية التي يتحدث عنها هـي القوات العربية الإسلامية . .

وربما هو الذي تنبـأ بما يحدث على صحراء المغرب ـ وهذا استنتـاجي أنا . فقد جاء على لسان نوستراداموس : إن القوات البربـرية سوف تأخذ أرضاً من إسبانيا . وسوف تسيل الدماء . .

أي أن القوات العربيـة سوف تسترد أرضاً كانـت تحتلها إسبانيا ــ ربما كان ذلك !

* * *

والعجيب أن هذا الكتاب تصدره المطابع اليهودية في أوقات معروفة . فقبل الحروب تبيعه على جانبي المحاربين . .

فمثلاً قبـل حرب ١٩٤٨ انتشر هـذا الكتاب في العـالم العربـي ، وظهرت فقرات منه مترجمة في الصحف البريطانية والفرنسية . .

وقبل النكسة نشرت الصحف الإسرائيلية مع الحفـاوة الشديدة فقرات تؤكد انتصار اليهود وهزيمة العرب . .

وفي سنة ١٩٧٣ أعيد نشر النبـوءات ، ووجد اليهود أن قائداً عـربياً اسمه

«محمد» سوف يسيل الدماء وينتقل بعد ذلك فى رحلات طويلة إلى أوربا . .

ونشرت صحيفة يهودية أيضاً أن هذا القائد سوف ينتصر . وأن الصحف الأخرى قد حرفت فى نبوءة نوستراداموس . .

فهذا الطبيب الفرنسى الذى عاش فى العصور الوسطى ، ما يزال بعد أربعة قرون ، يعمل فى كل الجهات مع الجميع وضد الجميع أيضاً !

شئ وراء العقل

على كتفيك شئ عجيب لا تعرفه

الإنسان حيوان قد أدمن الأطباء . . أو أدمن الدواء، دون أن يكون هناك شفاء . كم مرة ذهبت إلى الطبيب وطلب إليك أن تأخذ لك إجازة ، أن تمدد رجليك وتجلس فى الشمس أو تنقص وزنك قليلا أو قال لك مداعباً : إن الدنيا لاتساوى . . هون عليك . . ما الذى أخذه الذين قبلنا . لا شىء . . وماذا سوف نأخذه . . نفس الشىء . . أى لا شىء . .

وقد لايتسع وقتك لكى تفكر فى الذى همس به الطبيب . وتجد أنه على حق . ولكن الدنيا تأخذك من نفسك ومن الطبيب وتملأ أذنيك بأوجاع أخرى وتعود إلى الطبيب . وتنشغل به طول الوقت بهذا البيت الذى تسكنه ـ أى بجسمك . فهو الشىء الوحيد الشخصى جدًا فى حياة أى إنسان . فنحن أفكارنا تتشابه وهمومنا وأمراضنا ، ولكن أجسامنا تختلف تماماً . ومن النادر أن نخرج عن هذه الأجسام ونفكر : كيف يعمل هذا الجسم . . ومن الذى يديره من الذى يصونه . . أو « ما» الذى يحركه وينظمه ويوجهه ويوجهنا جميعاً؟

إن هذا البحث الصعب يبدأ بملحوظة صغيرة : فأنت عندما تذهب إلى الطبيب تشعر بشيء من التحسن ، حتى قبل أن يراك . . بل يحدث كثيراً أنه بعد أن تحصل على موعد لقاء مـن الطبيب تشعر بشيء من التحسن . لماذا ؟ وكيف ؟ وأين تتم هذه الحالات النفسية ومـا هذا الذى أدى إلى تحسنك . هل هـو صـوت الطبيـب . . هـل هى عيـادة الطبيـب والشهـادات المعلقـة على الجدران . . هل هو الزحام الذى يؤكد لـك أن الطبيب ممتاز بدليل هذا الاقبال عليه . . هل هـو مجرد أن يراك وأن تراه وأن تشعر معه وإلى جـواره بالأمان . . هل هى الـرغبة العميقة فى الشفاء . . ثـم أين تجرى هذه المشاعـر كلها وكيف تؤثر على جسمك ، على وظائفك ، على متاعبك ؟

هـذه هى البـدايـة الصغيرة لهذه الـرحلة الطـويلـة العميقـة داخل العقـل الإنسـانـى . والسؤال بصـورة أخـرى ومـرة أخـرى : كيـف يؤثـر عقلـك فى جسمك ! ثم أين هو هذا العقل ؟

* * *

إن الكثيرين من المرضى قد تحسنت حالتهـم الصحية عن طريق عقولهم . عشرات الأمثلة تؤكد أن الطب وقـف حائراً أمام المرض والمريض . وفجأة ، أو بمعجزة ، تحسنت صحة المريض . والسبب هو المريض نفسه .

إن مريضـاً قد يئس منه الطـب الحديث ، طلب بعض الأفـلام المضحكة وبرغم عجزه عن الضحك فإن هذه الأفلام قد هزته من أعماقه قد أسقطت عنه متاعب وهموماً فى وزن الجبال . إن الأطباء يقفـون حول المريض يرون ما الذى يقـدر عليه الضحـك وعجزت عنـه الأشعـة . . واستطاع الضحـك وإصرار المريض وعقله أن يحير الأطباء وأن يخفف الداء حتى الشفاء . . وما من طبيب

إلا عنده عشرات الأمثلة . وكلها ذات معنى واحد : أن العقل يستطيع بتأثيره على الجسم الإنسانى أن يحقق الشىء الذى ليس وارداً فى كتب الطب !

* * *

إن كتب الطب تروى هذه القصة أو عشرات مشابهة لها : إن فتاة صغيرة قد سمعت وقرأت عن قصة عذاب المسيح وصلبه ودق المسامير فى يديه وقدميه وتأثرت الفتاة بهذه القصة حتى أخذت الدماء تنزف من يديها وقدميها وجبهتها . والعجيب الذى حير الأطباء أنه لا يوجد تمزق فى بشرتها . . وأن الدماء تنزف كأنها قطرات عرق .

ومعنى ذلك أن العقل يستطيع أن يؤثر على الجسم كله : على وظائفه وعلى خلاياه !

إن الملك لويس السادس عشر قد كون لجنة غريبة . . هذه اللجنة تضم عالماً كيماويًّا هو لافوازييه وسفيراً أمريكيًّا فيلسوفًا هو فرانكلين . . وطلب إلى اللجنة أن تبحث هذا الموضوع : كيف يمكن لرجل الدين أن يشفى أمراض الناس . وطلبت اللجنة من الملك أن يدلها على المر ضى الذين تم شفاؤهم . وجاءوا لهم بالمرضى . وعاد العلماء بتقرير جاءت فى نهايته هذه العبارة : تم الشفاء للجميع عن طريق الخيال . لقد قال لهم رجل الدين : تخيلوا أنكم شفيتم ، وأن أوجاعكم ذهبت ، وأنكم تطيرون فوق السحاب ، وأن الله قد غفر لكم ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر . . وخفت كل الأجسام التى أثقلتها الأوجاع » .

وكذلك يفعل رجال كل دين وكل عقيدة . .

ولكن مـا هو هذا العقـل ؟ أين يوجد ؟ كيـف يعمل ! كيف يـؤثر على الجسم كله !

الجواب لا أحد يعرف أين يوجد عقلك . وكل ما يستطيعه الطبيب هو أن يقـول إن لك مخًا . وأن هـذا المخ وزنه كـذا ولونـه كذا . وأنـه لا فرق بين مـخ العبقرى ومخ العبيط ، فالعالم الكبير أينشتين عندما أوصى بتحليل مخه ، لعل أحداً يهتدى مـن بعده إلى سر عبقريته ، لم يجد العلماء فـرقًا بين مخه ومخ أكبر الناس غباوة . إذن ليـس هو الحجم ولا الوزن ولا اللون . . وكـل ما يستطيعه الأطباء هـو أن يقولوا لك : هنـا مركز السمع . . وهنـا مركز الرؤيـة . . وهنا المراكز الحركية . . أما الذاكرة فلا يعـرف أحد أين هى فى هذه المادة السنجابية اللون المليئة بالخطوط الدقيقة جدًا . .

هناك مخ : هـذه حقيقة تشريحية . . ولكن لانعـرف أين مكانه ومـا الذى يجعله ذكيا أو غبيًا أو عبقريا . لا أحد عرف حتى الآن . .

وكل ما يعرفه العلماء هو تجاربهم على الفئـران والقطط والأرانب ، فهم قد فتحـوا أدمغتها وأخـرجـوا مخهـا وشرحوه وقطعـوه ووزنـوه وحـركوه وشلـوه . . وينتقلون بعد ذلـك إلى مخ الإنسان . ولكن التجارب التـى أجريت على المخ الإنسانى وتمزيقه وتشريحه وهو مايزال حيًا قليلة جدًا .

ويجلس الإنسـان أمام الطبيـب النفسى فيسـأله لعلـه يعرف عقلـه : . . حدثنى عن أحـلامك . . عن طفولتك . . أو حدثنى ولا تتـوقف عن الكلام أو كما قال سقراط من ألوف السنين : حدثنى لكى أراك !

وتظل تتحدث والطبيـب النفسى يقوم بتركيب أفكارك وأحـلامك ويصنع منها صـورة لعقلك ولحيـاتك وأنـت طفل . ولمستقبـل حياتـك . . ولذلـك فالتحليل النفسـى فن وليس علمًا ، لأنه يعتمد فى الدرجـة الأولى على مانقول

وعلى «تأليف» الطبيب بعد ذلك !

إن علماء النفس عندما يسألونك لكى يعرفوا عقلك تماماً كالذى يطلب إليك أن تضع يدك فى جيبك وتخبره عن الذى فى جيبك دون أن تخرج يدك منه . . فأنت تقول : وهو لايعرف إن كنت تقول الحقيقة أو تكذب . .

ولكن هذا هو كل ما نستطيع أن نعرفه عن عقولنا . .

* * *

وإذا كان الإنسان حيواناً قد أدمن الأطباء ، فهو فى الحقيقة قد أدمن العقاقير . وهذه العقاقير هى التى تفتح أبواب ونوافذ العقل . . أو هى التى ترمى حدود العقل إلى الوراء . . أو هى التى تزعزع البيت الذى نسكنه حتى الموت ـ أى أجسادنا ـ فأنت عندما تصحو من النوم حتى تنام تتناول هذه العقاقير المختلفة :

الأسبيرين . . والنيكوتين الموجود فى السجائر . . والكافيين الموجود فى الشاى والقهوة والكاكاو والكوكا . . والكحول . .

وهذه العقاقير التى تؤدى إلى الإدمان برغم أنها ضارة ، فإن أحداً لا يعيب على مدمن القهوة أو السجائر أنه يفعل ذلك . . إننا نلوم من يدمن الحشيش أو الأفيون . . فمدمن الشاى والقهوة والسجائر لا نقول إنه مدمن وإنما نقول إنه « كييف » . ولكن الذى اتخذ من الأفيون والحشيش مزاجاً نقول إنه «مدمن» . . إن الأضرار واحدة بدرجات متفاوتة وتؤدى إلى نفس الاضطرابات وتؤدى إلى « توسيع الحدود العقلية » . .

وفى استطاعتك أن تتساءل : ما فائدة القهوة والشاى أو السيجارة ؟

ويكون الجواب : أنها تؤدى إلى نـوع من جلاء البصر والروقـان . . وتؤدى إلى اعتدال المزاج . . وإلى إزالة غشاوة أمام العين . . أو غشاوة على العقل . . بالاختصـار : من غيرهـا لا تستطيع أن تـؤدى عملك على النحـو الذى تـراه أفضل !

والمدمنون لديهم ما يقولونه أيضاً . .

ما هذا الذى يحدث بالضبط ! هذا هو السؤال الثانى .

والسؤال الأول كـان : ما هـذا العقل ؟ وكيـف يؤثـر على أجسامنـا ؟ لقد حدث من عصور قديمة جدًّا أن عرف الإنسان أثر العقاقير على عقله . . فقد تعاطـى الناس فى كل الحضـارات القديمـة هذه الأعشاب التـى تحرك خيالهم وتجعلهم يتصورون أنهم يعيشون فى جنـات أو فى جهنم . . إن الكاتب الكبير جوليـان هكسلى قد جرب مـادة المسكالين على نفسه وسجـل ما يشعر بـه بعد ذلك . . إنه رأى عالماً عجيباً من الألوان والأشكال والأحجام عالماً تحولت فيه كل صورة إلى لون . . إن الشاعر الكبير جريفز الذى درس الأساطير الإغريقية يؤكد لنـا اليوم أن الإغريق كانـوا أكبر حشاشين فى تاريخ الإنسانيـة . وأنه من وحى الحشيـش تحولت الجبال إلى حيـوانات والحيـوانات إلى آلهة . . والآلهة إلى حيوانات . . وأصبـح الصغير جدًّا كبيراً جداً . . إلى آخر الأسـاطير الإغريقية كلها . .

إن هذه الأعشـاب هى التى حركـت العقل ، وأطلقت خيالـه ، ووسعت حدوده وأسقطـت من حول العقـل كل مـا اعتاد أن يراه وأن يسمعـه . . لقد جعلت العقل على غير عادته ، أو جعلته فوق العادة . .

* * *

وفى العصر الحديث وقعت حادثة ذات دلالة خطيرة . وهى حادثة اكتشاف طبيب سويسرى اسمه البرت هوفمان يوم ١٦ أبريل سنة ١٩٤٣ . هذا الطبيب كان يعمل لحساب شركة ساندوس للأدوية . وكان مشغولا ببعض الفطريات التى تنمو على حبات القمح ، وهذه الفطريات قد استخدمت قبل ذلك فى القضاء على الصداع وآلام الولادة . ولكنه لاحظ عند عودته إلى البيت أنه فى حالة هلوسة . . كل الألوان والأصوات تداخلت وتلونت ولاحظ أيضاً كأنه اثنان فى وقت واحد : واحد يهذى والثانى يرقبه من بعيد . . واستدعى طبيباً . وبعد ساعتين أفاق من هذه الحالة . وعرف فيما بعد أن السبب هو العقار الذى اكتشفه واسمه : ل . س . د . ٢٥ وهذا العقار يقاس بالميكروجرام ــ أى بواحد على مليون من الجرام ـ وأن قرصاً من حجم الإسبرين كاف لإصابة عشرة آلاف إنسان بالهلوسة .

فهذا العقار يؤدى إلى إطلاق العقل وتهييج الذكريات كلها . . ويصبح الإنسان قادراً على أن يتذكر كل شىء حدث له منذ الطفولة حتى آخر لحظة . وكلها بنفس الوضوح .

ومعنى ذلك أن العقل مليان . وأن العقل من الممكن إثارته واحياؤه وإنهاضه وتوسيعه وإطلاقه إلى الوراء وإلى الأمام . . وأن هذا لايتحقق إلا بهذه العقاقير . .

وقد عرف الأطباء كيف يجعلون الإنسان رائداً للفضاء العقلى ، للفضاء الداخلى . . وذلك بأن يعطوه هذه العقاقير ، ثم يتركوه يروى ويصف .

* * *

ولكن كيف يجب أن نفرق بين عقاقير للهلوسة ، أى نجعل الإنسان يقول ويصف مـالايدرى به . . وبين عقـاقير تجعل الإنسـان يقول ما يـدرى به . . فعقار ل . س . د ٢٥ ليس عقاراً للهلوسة وإنما هو عقار « لتوسيع المخ » أى « سيكدلك » ـ باللغات الأوربية .

وقد توقفت شركـات الأدوية السويسرية عن إنتاج هـذا العقار . فقد كان عقاراً تجريبيًّا . ولكنه انتشر فى العـالم كله . وأصبحت لـه جماعات وديـانات وفلسفات . وأحس الشباب فى كل العالم أن هـذا العقار هو رسول السلام . . هو قذيفة تطلقهـم إلى الفضاء الداخلى ، يرون ويسمعون ويتمتعون هـرباً من دنياهـم واعتزازاً بتلك الكنـوز الدفينة فى العقل الإنسـانى . وأن هذه الفـرصة الذهبية التى حققها العلم للإنسـان الذى استغرقته الحياة المادية والخوف منها والخوف عليها . . وأنه لانجاة لـلإنسان من هذا الذى استغرقـه حتى أغرقه . إلا بتعاطى عقاقير الهلوسة وتـوسيع المخ . . وتوسيع الهوة بين الأجيال . . بين الآبـاء والأبناء . بين الشعـب والحكـام . . بين ما يتمنـاه النـاس وبين الذيـن يجدونه فى أيديهم ولا يـرضيهم . . وأن هذه هى لحظـة الانتقام من كل الـذين حشروا الأجيال الشابة فى قوالب من حديد . . فى دبابات وطيارات وشحنوهم من أجـل الموت بلا قضية . . إنها فرصـة نادرة لنزع قشرة العقل الإنسـانى . . لمعرفة هذا اللغز العظيم . . هـذا الذى يحرك الجسم ويحرك الحضارة الإنسانية دون أن يعرف أين هو ولا كيف هو . . إن العقـل قوة هائلة جبارة . ولكننا لا نعرف ذلك . .

إن الذى سجلـه الأدباء والشعراء والأطبـاء بعد أن تنـاولوا عقاقير الهلـوسة وتـوسيع المخ أقـرب مـا يكـون مما جـاء فى « كتـاب الموتـى الفرعـونـى » أو فى

«الإلياذة» الإغـريقية . . أن هنـاك مشاعـر غريبـة . . وحركـات لايتصورهـا العقل . . وأجساماً تطير وتروح وتجيء كأنها بلا أجسام فى عوالم بلا جاذبية .

وعشرات الألوف من الأغـانى فى الشرق والغرب ذات المعانـى الجميلة . . مثل الأغنية التى تقول : أخمدت الضوء والضوضاء فى رأسى ، فلا وقت للألم . ولا ضرورة له ، بعد أن عرفتك . .

وبعد أن عـرف الملايين هذه العقـاقير التى تفتـح فى داخل العقـل قارات وكـواكب هـائلـة شاسعـة . . ولكنهـا جميعاً بـلا خـرائط . . فهذه العقـاقير الكيميائية الطبية لم تفعـل أكثر من أننا وضعنا أيدينـا على مفتاح لباب من بين مليون باب لعالم عقلى لا نعرف عنه إلا القليل جداً . .

إن على كتفيك دنيا أكبر من الدنيا ، وأروع ولكنك لاتعرف !

* * *

فإلى خطوة قـادمة أكبر وأعمق فى داخلك ، بعد أن انشغـل الإنسان بكل شىء حـوله وأمامـه وضده . . إلا عقله . أما دليلنـا إلى ذلك فكتاب هـو من أروع ما صدر فى هذا القرن واسمه « قوى العقل » للكاتب الكبير آدم سميث .

"زن" طريقة للتأمل العقلى من أجل صحتك

كما هى عادة حكماء اليوجا وفلسفة « الزن » أرجو أن تقرأ هذه العبارات الآن . . وأن تفكر فيها بعد ذلك . . أما المعنى فسوف تجده فى الحكايات . . والنوادر . . التى سوف أرويها فى هذا المقال وغيره . . .

مادمت لا تعيش حتى المائة ، فلماذا تحترق ألف مرة ؟

الحيتان تغرق فى المياه الضحلة !

مدرس متوسط أحسن من مكتبة عظيمة !

قيل للأستاذ : كم تساوى أربع نساء يتحدثن معاً فى وقت واحد ؟ قال : يساوين نصف رجل صامت . قيل له : ولماذا؟ قال : لأن الصمت نصف الحكمة ، والكلام معاً ليس من الحكمة والإجابة عن هذا السؤال نوع من الحكمة . . وهذا الحوار فى الطريق إلى الحكمة .

وإذا كان جسمك هو حصانك ، فإن عقلك هو السرج واللجام والكرباج والطريق . .

. . إن هذا ثوبك لا تنس ذلك . . فلا تلوثه ولا تمزقه ولا تسكن فيه مع

أحد غيرك . . ثم لا تعطيه لأحد . . ألا ترى أننى عريان وأننى أسعد حالا وأهدأ بالا وأصح جسداً وأصفى نفساً . كيف كان لى ذلك . . هذا هو السؤال وذلك هو الجواب . .

ومئات الألوف من العبارات ذات الرموز وذات الدلالة نجدها عند أهل الصين القدامى . . وعند حكماء اليوجا المعاصرين . . ولكن الذى أريد أن أتجه إليه مباشرة هو طريق « الزن » والزن كلمة يابانية معناها : التأمل .

وقبل أن نتأمل معاً نتساءل مع جماعة « الزن » ما هو هذا التأمل ؟

هناك درجات متفاوتة من الوعى : أن تكون فى حالة يقظة تامة ، كما أنت الآن . .

وأن تنام . .

وأن تحلم أثناء النوم . .

ومن هذه الحالات الثلاث هناك درجات لا نهاية لها بين الوعى واليقظة والاقتراب من النوم والاستغراق فيه ، وبين الأحلام والرؤى وبين الهلوسات أثناء النوم أو أثناء اليقظة . . تماماً كالفوارق الهائلة فى الدرجات اللونية . .

ولكن درجة الوعى التى تهمنا هى : التأمل . .

كيف نتأمل شيئاً ما ؟

أن تجلس ساكناً هادئاً وأن تفتح عينيك على شىء فلا ترى سواه . . وليكن هذا الشىء زهرة . . أن تفتح عينيك حتى لا ترى غيرها . . ثم يذهب بك التأمل حتى لاترى الزهرة . . وتكون فى حالة من الهدوء والصمت فلا أنت يقظان ولا أنت نائم ولا أنت حالم . . وإنما أنت غارق فى شىء . .

أو غارق فى حالة ولكنك فى نفس الوقت لست غارقاً . . إن نظرتك أشمل وأعمق من هذه الزهرة . .

* * *

والذى يهمنى ويهمك أيضاً ما الذى يحدثه هذا التأمل العقلى فى جسمك . . إنك هادئ . . إن أنفاسك منتظمة ، وهذا الانتظام يؤدى إلى تخفيف التوتر النفسى لك . . ومن تلقاء نفسك تجدك قد فردت ذراعيك ومددت ساقيك . . وأصبحت أخف وزناً . .

ولكنك لست كسولا ، ولا عقلك قد توقف أو نام . . وإنما تجد أن عقلك أقدر على الفهم وأقدر على تمييز « القطط السود من القطط البيض » ـ كما يقول رهبان الزن . فقد حدث أن ذهب تلميذ إلى أستاذه الحكيم يقول له : يا أستاذنا . . ما الذى أفعله بعد ذلك ؟ فقال له الأستاذ : وما الذى فعلته حتى الآن فقال التلميذ كل ما أمرتنى به . فقال له : وما الذى أمرتك به ؟ قال التلميذ : أن أنام فى غرفة مظلمة . وأن أكف عن الطعام والشراب . . وأن أعد أنفاسى شهيقاً وزفيراً . . وأن أجىء إليك إذا ما شعرت بالراحة التامة . وأهم من ذلك أن أقود قطيعاً من القطط البيض والقطط السود حتى يجىء النوم . . وجاء النوم وذهب وجاء . . ثم جئت إليك ألتمس الحكمة منك ياأستاذى العظيم .

ولكن الأستاذ العظيم الحكيم قال له : إنك لم تحقق شيئاً مما قلت لك . . كان يجب أن تعود إلى عندما تنسى كل الذى قلته لك . . ولكنك مادمت تذكر كل شىء فأنت لم تستغرق فى الكون كله بعد . . وما دمت تفرق بين القطط البيض والقطط السود فأنت لم تستغرق فى الكون بعد . . وما دمت لا

تـزال قلقـاً على أن تجىء إلى ، فـأنـت لم تسترح بعـد . . ومـادام النـوم يـروح ويجىء ، فأنت لم تستغرق فى النوم فى الكون بعـد . . اذهب وانس ماقلته لك هذه المرة ، ولن تجىء !

وهذه الحكاية تحتاج إلى شرح . فمن عـادة جماعة « الزن » أن يسأل التلميذ أستاذه : ما الذى يفعله من أجل أن يريح جسمه عن طريق العقل . . فيقول له الأستاذ مثـلا : تخيل أنك تجر وراءك الشاطئين تخيل أنك تفعـل ذلك حتى يستغرقك هذا الخيال . .

ويقول له : تخيل أنك تسحب هذه السفينة بمن عليها حتى الشاطئ تخيل ذلك . .

إن الأستـاذ يريـد من تلميـذه أن يتخيل وأن يتـأمل وأن يفعـل ذلك وهـو جالـس هادئ . يقول د . دالاس أحد علماء النفـس الأمريكان أن تجاريـه من هذا النوع قد أدت إلى خفض ضغط الـدم عند عدد كبير من المرضى . بل إنها أنقصت حبـات العرق . . بـل إنها أخذت بـالصداع مـن الرأس . وقـد قام بمئات التجارب فى المستشفيات على المرضى . وأن الأدويـة المسكنة قد فشلت تماماً حيث نجحت تأملات « الزن » . .

* * *

تقول د . مرجريت ين من أكبر علماء الحيـوانات فى أمريكا : عندما زرت بعض جزر المحيط الهادى اتجهت إلى حكيم القبيلة . قابلته . كان جالساً كأنه صخرة . كأنه شجرة . لايتحرك فيه شىء . حتى رموش عينيه ، حتى أصابع يديـه ، كلها ممـدودة لا تهتز برغـم أن الضوء قـد سقط على وجهـه ، وذراعاه

ممدودتان أمامه . قـالت إنها سألت ما الذى يفعله الرجـل ، لم يشأ أحد أن يرد عليها . فعـادت واتجهت إلى واحـد من أطفـال القبيلة . ولكـن الطفل اقترب منها ليقول : إنه يستعـد لعملية جراحية صعبة . وهو يفعـل ذلك فى الظروف العسيرة . .

وبعد ساعـة من هذا الهدوء المميت نهض طبيب القبيلـة . وأشرقت وجوه الـرجال والنسـاء . ودخـل الطبيب كـوخـا وسمعنـا صرخة صغيرة . وخـرج الطبيب بعد دقائق . لقد بتر ساقاً لأحد المرضى .

وفهمت د . مـرجريت يـن أن لحظات الصمـت هذه تمنح الطبيـب قدرة جسمية عظيمة . وقدرة عقلية أعظم .

ولـذلـك فبعض الأطبـاء يـرون أنـه من الضرورى لكـل إنسـان فى العصر الحديث أن يتوقف عن العمل أو النشاط تماماً مرتين فى اليوم . كل مرة عشرون دقيقـة . وبدلا مـن أن يـذهب النـاس إلى المطـاعم أو حتـى دور السينما . . ليستريحوا بعض الوقت . فإنه من الأفضـل أن يجلس كل إنسان هادئاً . يتأمل لا شـىء . . يتأمـل أنه على ظهـر مركـب وأن هناك أنـاساً يسحبـونه هـو إلى الشاطـئ ، أو هو الـذى يسحب المركب إلى الشـاطئ . . عشرون دقيقـة قبل الغداء . . وعشرون دقيقة أخرى قبل العشاء . .

وإذا كـان الناس فى أوربـا وأمـريكا ينسحبـون من العمـل بعـض الوقـت فيجلسـون لشرب القهوة أو الشـاى فليـس هـذا هو الأسلـوب الصحـى . . فالذى يفعلونه ليس إلا نوعاً من تغيير الحركة . فبدلا من أن يتحرك الإنسان فى مكتبه أو فى مصنعه ، فإنه يجلس فى مقهى أو مطعم ويحرك رأسه ويتكلم شيئاً

مختلفاً ويسمع كلاماً آخر . . ولكن ليست هذه هى الراحة المطلوبة . وإنما الذى يدفعنا عادة إلى المقاهى والمطاعم والملاعب هو سبب آخر : هو أننا اعتدنا على الضوضاء . ولم نعد قادرين على الحياة بغيرها . .

إن أكثر الناس لا يستطيع أن يجلس وحده فى هدوء . . إنه يريد أن يكون مع الآخرين حتى ولو لم يشاركهم الكلام . يكفيه أنه يسمعهم . أو تكفيه ضوضاؤهم . لماذا ؟ لأنه اعتاد على الدوشة . . فهو ينام والراديو مفتوح . فإذا نزل من البيت استقبلته ضوضاء الشارع . فإذا ركب السيارة فتح الراديو . راديو السيارة أو الراديو الصغير الذى يحمله أو تمنى أن يفعل أحد ذلك بالنيابة عنه . . ومن الغريب أن ينتظر الفيلم فى هدوء . . مع أنه لا يوجد هدوء بين الناس فى السينما . . ولكنه اعتاد على الضوضاء . . واعتاد على أن تثيره الضوضاء . وتجعله عصبياً كأنه لم يخرج من البيت أو من المكتب . . إنه اعتاد على أن يكون عصبياً قلقاً ، وأن تكون حالته النفسية هكذا ، وحالته الجسمية أيضاً . .

قالوا للحكيم كونفوشيوس : لماذا نرى هذه الأغنام قلقة . . ولا نرى تلك الأغنام مثلها . قال : هذه الأغنام ليست وحدها إن ذئباً يتوارى بينها . قالوا له : لا يوجد ذئب أيها الحكيم وإلا أكلها جميعاً . قال : هناك ذئاب تأكل الأغنام وذئاب تتركها لذئاب أخرى . . سألوه : كيف ؟ قال : إن الراعى إذا كان كسولاً أو كثير النوم جاءت الذئاب إلى الأغنام . . فهو ذئب لا يأكل الأغنام ولكنه يمهد الطريق للذئاب الأخرى . . فافهموا !

وهو يطلب إليهم ــ عادة ـ أن يفكروا فيما يقول . . وإذا فكرنا نحن أيضاً فيما يقول نجد أننا نحن الذئاب . . وأجسادنا هى الأغنام . ونحن الذين

نحميها من ذئاب القلق والخوف والمرض . . أو نغفـل عنها فتجيء المخاوف من خارجنا تفترسنا . .

ولما عادوا إلى الحكيم كـونفوشيوس يقولـون له : ياحكيم الـزمان ولكن إذا كان الإنسان يرعى قطيعاً من الـذئاب فما الذى يفعله معها . . قال الحكيم : ولكن الإنسان لا يرعى الذئاب . . ولا الـذئاب ترعى الإنسان . . قيل له : وكيف يا أستـاذنا ؟ أجاب : إذا كان الإنســان راعياً وكانت الـذئاب أغناماً ، فإنها تلتف حوله تأكله . . فـلا يكون هناك راع ولا تكون هناك رعية . . وإذا كانـت الذئاب هى التى تـرعى الإنسان ، فإنـه لا يكون إنساناً ولا تكـون هى ذئاباً . . إذا رعاهـا كان الها . . وإذا رعته كانـت أغناماً . . فقالـوا له : إننا نفترض ذلك يـا أستاذنـا . . نفترض أن الإنسان استطـاع أن يروضهـا ، وأنها استطاعت أن تجعله وحشـاً مثلها . . فلا خوف على الراعى مـن الرعية ، ولا على الرعية من الراعى . . نقول لك : إذا . . وأجاب الحكيم كونفوشيوس : تقولون : إذا . . وأقول لكم : خير عظيم إذا . . فافهموا ! .

وهو ولاشـك شيء عظيم أن يصبـح العقل الإنسـانى قادراً على تـرويض الـرغبـات الحسيـة والنـزوات النفسيـة . . خير عظيـم تعمـل كـل المذاهـب الأخلاقية والدينيـة من أجله . . فإذا كان الجسم ذئبـاً والعقل راعياً واستطاع العقـل أن يروض الـذئب ، فهـذه أقصى درجـات الإرادة . . ولكـن عندمـا يتغلـب الجسم على العقـل ، أصبح العقـل أحط مـن الجسم . . أو أصبـح الإنسان منحطاً . .

ولكن ما هذا الذى فى عقلك يجعلك قادراً على أن تفعل هذا أو لا تفعله ؟

إن الأطباء والعلماء ورجال الكيمياء قد شرحـوا المخ ومزقوه . . ووضعوه فى

الأنابيب ورفعوا درجات حرارتـه . ولكنهم لم يهتدوا إلى أين تكمن الإرادة . . أين تكمن هذه المشاعر المعقدة . .

لقد رسموا المخ وقاسوا درجة حرارته ودرجة كهربيته ومغناطيسيته . وقالوا : الفكر كهـرباء . . وقـالوا : الفكـر تفاعـلات كيميائيـة تنتقل مـن مكان إلى مكان . . وقالوا : إن حركة الفكر عبارة عن قفزات مثل قفزات العصافير . . وأنه لا تـوجد حـركة متصلـة . . وقالـوا : إن العقل بطبعـه قادر على تنظيـم الأشياء . . وقادر على خلق العلاقات . .

ولكن أيـن نجد هـذه القدرة على التنظيـم . فى أى مكان فى المخ لا أحـد يعرف .

ولكن ليس من الضرورى لنا أن نعرف أين هذا وأين ذاك . المهم لنا هو أن نعرف كيـف نقدر بالعقل على السيطـرة على الجسم . وبذلك نحقـق لأنفسنا قسطـاً من الـراحـة . . وأن نمسح الـزجاج أمـام العقـل فيرى أوضح وأبعـد وأعمق . .

* * *

نعود مرة أخرى إلى ماتفعله جماعة « الزن » أو الصوفية فى كل الأديان .

انظر إلى واحـد منهم . تجده جالسـاً لا يتحرك . ومطلوب منـك أن تفعل ذلك مرتين فى اليوم ـ هذه أحدث النظريات العلمية المعاصرة .

هناك التأمل الصامت . .

وهناك صلاة القلب . .

فالتأمـل الصامت هو أن تجلـس . وأن تركز عينيك على أى شـىء . حتى

تصبح لا تراه . ولا يهم ما هذا الشىء . بعض الوقت .

أمـا صـلاة القلـب فهى : اختر أيـة كلمـة قصيرة . ولتكـن : الله . أو : واحد . . وردد هذه الكلمة بلا صوت مائة مرة . . ألف مرة . . وافعل ذلك عشر دقائق . . لاحظ أن تنفسـك قد هدأ . . لاحظ أنك قـد انصرفت تماماً عن الـذى حولـك . . لا حظ أن هذا الانصراف هـو الذى عـزلك عـن كل شىء . وأن هذه العزلة هى خروج من الدائرة اليومية لحياتك . وأن هذا الخروج هو الذى أراحـك . وأنك إذا اعتدت على ذلك استرحـت . وأنك إذا لم تفعل هذا لنفسك وبنفسك فلن يريحك أحد . .

ومن الضرورى أن أذكر لـك قصة أمريكية مشهورة لكاتـب معروف اسمه سالنجـر . القصة اسمها « فـرانى . . وزوى » . وفـرانى هذه هـى البطلة . تقول فرانـى عن سبب عذابها وعـذاب كل الناس : إنه لشـىء فظيع أن يكون الإنسـان أوربيًّا أو أمـريكيـاً . . شىء رهيـب ولكننـا لا ننتبه إلى ذلـك إلا فى مرحلة متأخرة جدًّا . . تصور أنك يجب أن تجرى . . وأن تنطلق دون حزن . بل وأن تتباهى بذلك . . شىء فظيـع أن يكون الإنسان فى حالة سباق مستمر من أجل أن يفعل شيئاً ما ، لعله يكون شخصـاً ما ، له مركز ما ، متفوقاً على إنسـان ما ، هـذه هى فلسفـة ما لكـل النـاس . . وهذه هـى حكمة الميـلاد والصراع والحياة والموت بعد ذلك . .

وفى القصـة أن فرانـى هذه عنـدمـا قالـت ذلك . . سقطـت على الأرض مغمى عليها . وقالوا فى تفسير ذلك : إنها سقطت لأنها كانت حاملا . ولكن الحقيقة أنه ليـس من الضرورى أن تكون الفتاة حامـلا لكى تقع على الأرض ، بل هـى وقعت لأن الاستمرار مستحيـل . . ولأن هذه الحياة هـى إرهاب . .

رهاب الإنسان لغيره ، أو إرهاب الانسان لنفسه . . وأن البطلة كان يجب أن
سقط بل تسقط الحياة كلها . . لأنها حياة بلا حياة . . حياة بلا لحظة واحدة
ن التأمل بل لحظة واحدة يأخذ فيها الإنسان أنفاسه . . أو بعدها حتى
نسى أنه يتنفس . كما يقول ويفعل فلاسفة الزن فى العالم كله الآن . .

* * *

يقال إن تلميذين من تلامذة الزن كل واحد منهما يتباهى بأستاذه . قال
واحد : إن أستاذى يستطيع أن يمد يده عبر الشاطئ فيكتب على ورقة
مسكها بيدى على الشاطئ الآخر ، فقال التلميذ الآخر : إن أستاذى يأكل
عندما يجوع ، ويشرب عندما يعطش ويتكلم عندما يسأله أحد . .

وهذا شيء عجيب فى هذه الدنيا . فنحن عادة نأكل دون أن نكون
جوعى ، ونشرب دون أن يكون هناك عطش ، ونتكلم أو نترك غيرنا يتكلم دون
أن نكون فى حاجة إلى أن نسمع . . ولذلك غريب أن يأكل الإنسان لأنه
جاع ، ويشرب لأنه عطش ، ويتكلم لأن هناك ضرورة . . شيء غريب
وعجيب يجرى فوق كتفيك ، ولكننا مازلنا فى حاجة إلى أن نعرف ـ كما سوف
نرى .

أناس استطاعوا
أن يمشوا على الماء

ملايين الناس اليوم ، ليس عندهم استعداد لأن يموتوا فى سبيل الحب . . وإن كانت ملايين أخرى قد ماتت لأنها لم تجد الحب . . فما الذى يجده الناس فى الحب ؟ إنهم يجدون « دورا »فى لعبة مقدسة . . إذا أعطيتها أصبعك ، وإذاتركت لها ذراعك استولت عليك واستدرجتك إلى حالة لا هى نوم ولا هى يقظة ، لا هى سعادةولا هى تعاسة ، لا هى حياة ولا هى موت ولكنها حالة يهون معها كل أنواع العذاب . . هذا هو الحب . . أو نوع من الحب . . فهل هو شىء ضرورى لأحد ؟ . .

نعود إلى ما كنا فيه من قبل لكى نذهب أبعد فى فهم هذه القوة العجيبة التى استقرت فى رأسك فى كتفيك وأنت لا تعرفها . ولكن من الضرورى أن تعرفها ، سواء كنت صغيراً أم كبيراً . إن هذه المعرفة هى شرط لسعادتك ، أو شرط لنجاحك إذا كانت السعادة لا تهمك . . فما الذى تراه عندما تشاهد مباراة فى كرة القدم ؟ قبل أن تفكر فى الإجابة عن هذا السؤال أعاجلك أنا بالإجابة : أنت تتفرج على أناس لهم دور . كل واحد له دور فى هذه اللعبة . وهذا الدور مدروس . وهناك أمل قد ألقى عليك . وهناك رغبة فى أعماقك فى

أن تفعل كل ما تستطيع احتراماً لنفسك وحرصاً على تقدير الآخرين لك . هذا هو المعنى الهام جداً . لماذا ؟ لأن هناك أناساً فى هـذه الدنيا لهم نشاط يروحون ويجيئـون . ويتزاحمون ويتسـاقطـون . ولكـن ليس لهم دور واضـح . لا هـم يعرفون ، ولا غيرهم يعرف ذلك . والنتجة أن حـركتهم مضطربة . وأهدافهم غامضة ، ونجاحهم غير مؤكد . وتعاستهم مؤكدة . .

هؤلاء الناس ليسوا فى حـالة يقظة . وإنما هم كالذيـن يمشون أثناء النوم . إنهم نائمون ولكنهـم يمشون . وهم يمشون ولكنهم نائمـون . إن هذه ليست حالة مـن اليقظة الواضحة . وفى استطـاعتك فى هذه اللحظة أن تتـوقف عن القراءة وتسأل نفسك : هل لهم دور واضـح ؟ هل أنت نائم أو يقظان ؟ وإذا عرفت الإجـابة فأنت قد واجهـت نفسك بالحقيقة . مع أنـه من النادر أن يجد الإنسان وقتـاً أو شجاعة لكـى يواجـه نفسه بما لا يحب . وهؤلاء الـلاعبون فى الملعب أمامك أناس يلعبـون جادين ، ويجدون لا عبين ، ولهم أدوار واضحة وأهداف تتعلـق بها آمال كل النـاس . فالـذى يعجبك فى هذه اللعبـة : هذا الوضـوح على أرض الملعب . كـل شىء مكشـوف . . اللاعبـون وحركـاتهم وحيلهم . ومعـروف مقدماً مـا هو المطلـوب منهم . . أن لهم أدواراً محددة فى هذه الحياة .

* * *

ويستطيع أن تجد سبباً مـؤكداً لكل متاعب الناس النفسيـة والعقلية : هذا السبب هـو أن الناس ليسـت لهم أدوار واضحة فى حيـاتهم . وهم بـلا أدوار واضحة لأنهم لا يفكرون بـوضوح . وهم لا يفكرون بوضـوح لأنهم مرهقون . وهم مرهقـون لأنهم لم يعرفوا كيف يستغلـون الطاقة الهائلة للعقـل الإنسانى .

وهـذا العقـل وحـده هـو القادر على إرهـاق الجسـد وراحتـه . وهـذا العقـل لايستطيع أن يعمل وحـده . وإنما يجب أن ندربه على ذلك . وأنـت لا تدربه إلا بـالإرادة . . إرادة السيطـرة على العقـل لكى تسيطـر على الجسـم فتعلمـه الراحة عندما تريد . وتدفعه إلى العمل عندما تشاء . .

وهذا « الترويض » لجسمك عن طريق عقلك هو الذى يشغلنى طول هذه المقالات وعرضها . فأنا وأنت قد استغرقتنا الحياة ، فليس عندنا وقت ولا رغبة فى أن يفتح الـواحد منـا دماغه ليعـرف ما الذى خبـأه الله فى هـذا الكنز على أكتافنا . .

هناك مئـات العلماء يدرسون ويبحثون ويجربـون ولكنهم استوحـوا علمهم من الهند والصين . واهتدوا إلى أنه مطلوب من الإنسان أن « يهز » جسمه . . أن يزلزل شحمه ولحمـه . . حتى يصبح الجسم الإنسـانى طيعـاً لك . فعندنا فى موالد الأوليـاء فى مصر وفى كثير من البلاد العربية يلتـف الناس فى حلقات الـذكـر . ويتمايلون على إيقـاع الطبـول ويـرددون كلمة أو كلمتين سـاعـات طويلة . هذه الصورة لها معنى جديد الآن . إن فى كاليفورنيا فى أمريكا حلقات ذكر وعـدداً من المنشـدين أساتـذة الجامعات قد أمسكـوا أجهزة علقـوها على رءوس هؤلاء الـذاكرين ليقيسوا الضغـط ودرجات الحرارة والتوتـرات العضلية والعصبية . إنهم ليسوا مسلمين ولا مسيحيين ولا يهوداً . . إنهم علماء لا دين لهم إلا توفير الحيـاة الأهدأ لأى إنسان ، أيّا كـان دينه . فإذا هـدأ الجسم وانهد أيضاً . شعر الإنسان بنوع من الصفاء العقلى .

ولكن احتياج الإنسان إلى مزيد من الصفاء والجلاء العقلى هو الذى جعله يلجأ إلى العقاقير التى تنشط العقل وتوسع حدوده . .

أو بعبارة أخرى إن هذه العقاقير هى التى تضع الإنسان فوق « البساط السحرى » فيطير إلى سماوات فى الماضى والحاضر والمستقبل . وهذا ما فعله الحشاشون فى سوريا وإيران من مئات السنين . . وما فعله كثير من الصوفية عندما عرفوا « القات » فى اليمن وعندما عرفوا « القهوة » فى الحبشة والسودان . . وعندما عرفوا « الأفيون » فى الصين . .

* * *

ولكن الإنسان يستطيع بالإرادة والترويض المستمر أن يحقق المعجزات مثلا : ذلك الرجل القروى البسيط الأرمنى الأصل واسمه جورجيف . لقد سارت وراءه الناس بالملايين فى تركيا وأرمنيا وفرنسا وأمريكا ، إنه عامل فى السكك الحديدية . وتاجر أحياناً . ولا يعرف القراءة والكتابة وإن كان أملى عشرات الكتب على التلاميذ . مات فى بيته فى باريس عدد من الأدباء والعلماء . ماتت فى بيته الكاتبة كاثلين ما نسفيلد . . هذا الرجل له دور . وهذا الدور له هدف . وهذا الهدف : ألا يكون الإنسان عبداً لعادة من العادات .

لأن الإنسان يعيش بحكم العادة . أى له مجموعة من العادات . يلجأ إليها ويستريح معها فى النهاية . فالإنسان هو ابن العادة . وكما أن الإنسان حلقة من سلسلة فى أناس سبقوه . فعاداته حلقة فى سلسلة من أفعال قام بها واستراح إليها . ويقول جورجيف أيضاً : إن الذى يدخن السجائر عبد لها ، والذى لا يدخن السجائر عبد لعدم التدخين . . فالإنسان يجب ألا يكون عبداً لكلمة : نعم . . ولا عبداً لكلمة : لا ! وإنما يجب أن يدخن من حين إلى آخر . . فلا خوف عليه . . ويجب ألا يكون هناك خوف .

أو بعبارة أخرى : يجب ألا يكون صعودك اضطرارياً ، وألا يكون هبوطك اضطراريـًّا . . وإنما انطلق على راحتك . . ودون عنف ودون إضرار بالآخرين . . أو إضرار بنفسك أولا وأخيراً .

وكان من عادة جورجيف أن يروى لتلامذته هذه القصة : اعتاد رجل أن يدخن كثيراً . وأن يمتنع عن التدخين فجأة . وكان الناس يقولون : هذا الرجل ليس له مزاج . فما حاجته إلى التدخين ؟

يقول جورجيف : هذا بالضبط ما يجب أن يكون عليه الإنسان بشرط ألا يسرف على نفسه فى التدخين أو فى الامتناع عن ذلك . . فى الأكل والشرب والعمل والتأمل . . المهم أن تكون عادلا . . أو معتدلا . . أو متوازناً . . فالحكمة العظمى هى الاعتدال . وهى أصعب المعانى والحالات التى شعر بها الإنسان . وعاش ومات دون أن يحققها . .

وهذا الرجل جورجيف يستمد علمه وحكمته من كثير من الصوفيين مثل جلال الدين الرومى . وعلى لسانه تجىء أسماء لبعض الطرق الصوفية الإيرانية . ولكن المهم هو أسلوب هؤلاء الناس فى ترويض النفس الحبيسة فى قفص الصدر ووراء جدران من الشحم واللحم وأنهار من الدماء وعواصف من الرغبات وأشباح من المخاوف . هذا هو الهدف . وهذا الدور المطلوب أيضاً . وبعد ذلك فى استطاعة أى إنسان أن يحقق فى دنياه ولدنياه ما يشاء . وكل الذين نجحوا فى هذه الحياة ، هم أقدر الناس على استخلاص قدراتهم من وحل البدن .

فهل هذا دين جديد ؟ من المؤكد أنه ليس كذلك . وإنما هو دعوة إلى أن تلتفت إلى نفسك قليلا . فليس من السهل أن يمشى الإنسان مغمض

العينين. ولا من المعقول أن تنطوى على عقلك . ولكن الاعتدال هو المعقول . والاعتدال أن تكون لك لحظات مواجهة . تواجه فيها هذا الذى تهرب منه ـ أرجو أن تعيد قراءة هذه العبارة وأن تكررها لنفسك كثيراً . . فهذا هو المفتاح الصغير الذى يحرص عليه الصوفيون وعلماء الإلكترونيات الذين سجلوا نشاط الإنسان جسميًّا وعقليًّا فى لحظات الصفاء النفسى والجلاء العقلى . .

وقد فهم الناس . ولكنهم عندما يطبقونه لا ينجحون تماماً . . ففى أمريكا تجد الملاعب قد ألحقت بالمصانع وبالبنوك . ففى البنوك تجد ملاعب كرة التنس ومناضد البنج بنج . والغرض هو أن ينصرف الموظفون إلى الترويح عن النفس بتحريك الجسم وإغراق العقل فى متابعة الكرة . . أى تشتيت العقل بعيداً عن الأرقام والتحويلات والشيكات . أى شغل العقل بشىء آخر. . أى تحويل مسار العقل إلى ملاحقة أهداف أخرى لذيذة وتافهه أيضاً. وهذا أسلوب سليم . ولكنه ليس إلا لحظة واحدة . وليس إلا درجة من درجات الابتعاد عن الهموم . . أو درجة من درجات الصعود الاضطرارى للعقل . ولكن المطلوب . أكثر من ذلك وأعمق . .

إن ألف ليلة تحدثت عن علاء الدين والمصباح . فعلاء الدين لايكاد يضغط على المصباح بأصابعه حتى يكون لعلاء الدين ما يشاء . . يرى ما يشاء ويجد ما يشاء . إن المصباح فوق أكتافنا ، ولابد أن نراه وأن نضغط عليه لكى نجد ما نريد .

ولكن المشكلة دائماً أننا نبحث عن الشىء الذى نريده فى مكان آخر . أننا نترك المكان الحقيقى ونفتش فى المكان غير المناسب . ان الراحة ليست فى كرة القدم أو كرة الطاولة . وليست فى مكان العمل . وإنما يجب أن نفعل شيئاً آخر

وقبل أن أحدثك عن هذا الشيء الآخر والمكان الآخر والمكان الآخر أروى لك قصة الشيخ نصر الدين . .

يقال إن الشيخ نصر الدين قد أضاع مفتاح بيته . . وراح يبحث عنه بالقرب من أحد فوانيس الشارع الذى يسكن فيه . فجاءه أحد رجال الشرطة يسأله : عن أى شيء تبحث ؟ قال : المفتاح .

ـ وأين سقط منك ؟

فى أول الشارع

ـ ولكن لماذا تبحث عنه هنا ؟

ـ لأن أول الشارع مظلم . . وهنا نور !

وليس الشيخ نصر الدين وحيداً فى ذلك . فنحن جميعاً نبحث عن المفتاح . . ولكن ليس فى المكان المناسب . . والمكان المناسب فى البيت . . أو فى بيت بعيد عن البعيد . عليك أن تجلس هادئاًوأن تأتى بأية حركات رياضية أو منظمة على إيقاع موسيقى . . أو أن تشارك فى حلقات الذكر . . إنهم فى أمريكا وفرنسا وبريطانيا يفعلون ذلك من أجل الصحة العقلية وهى مناسبات لكى تسيطر على جسمك بعقلك .

* * *

والممارسة أهم جدًّا من قراءة أى شيء عن ذلك . . والصوفية أصحاب «تجربة » أو أصحاب . « محنة » أو « معاناة » أو « مجاهدة » . . ثم هذه القصة . يقال إن أحد الصوفية كان يتمشى متأملا على شاطئ بحيرة . ويقال

إنـه سمع صـوتـاً يجيء من بعيـد يتغنى بشعـر صـوفى . وضاق الصـوفى بهذا الصوت القبيح والذى يخطئ أيضاً فى نطـق الكلمات . فركب زورقاً وذهب إلى الرجل الذى يغنى . وقال : يامولانا أنت لا تحسن النطق .

فقال له الرجل : علمنى ياسيدى .

وعلمه كيف ينطق وكيف يتغنى .

وتركه إلى زورقه وعاد إلى الشاطئ . وأثناء العودة فوجئ بالرجل يناديه قائلا : نسيت . . لقد نسيت . . علمنى من جديد . .

ولكن الصوفى لاحظ أن الرجل يمشـى على سطح الماء . وأصابه ذهول ثم ركع أمامه وهو يقول : بل علمنى أنت ياسيدى ومولاى وتاج رأسى وقرة عينى فى الحياة ؟

إنه إذن ليس العلـم ، ولكنها التجربة . . فـالرجل الذى يعلـم لا يمشى على الماء . ويمشى على الماء مـن كانت عنـده تجربة نفسيـة ومعاناة وجـدانية فصارت له قدرات خارقة ـ والقصة ترمز إلى هذا المعنى !

* * *

يقول جـورجيف فى عبـارة أبسط ، كل جسـم له ذبذبـة . أو له عـدد من الهزات أحصاهـا العلماء المؤمنون الـذين يعيشـون معه وحـوله . فـإذا استطاع الإنسـان أن ينقص عـدد الـذبـذباب هـذه إلى أدنـى حـد استراح . والراحـة مطلوبة . والـراحة مفقودة . وهى نـادرة . وليس فى هذه الدنيـا إلا عدد قليل يعرفونها بعض الوقت . فالإنسان الذى لا يعرف الرياضات النفسية هو الذى لا يعرف ضبـط النفس وتـرويضها ــ عدد ذبـذباتـه ٩٦ وهى صـدى لطمعه

ومخاوفه ورغبته فى منافسة الآخرين والانتقام منهم . . والإنسان فى حالة صفائه العادى ذبذباته ٤٥ أى عندما يعيش دون حاجة إلى الكلمات . . وإنما يعيش فى تأمل هادئ . . ولكن إذا استطاع الإنسان أن يحقق « حالة البركة » أو « تمام الرضا» أى « جوهر الصفاء » ـ فذبذبته ١٢ . . وإذا بلغ شاطئ النور والمعرفة ، ولم يعد فى حاجة إلى أن يقال له أو يقول فذبذبته ٦ . . ولابد أن الأنبياء وعباد اللّه الصالحين ذبذباتهم ٣ . . ولو سجلنا ذبذبات المجتمع فى أية لحظة . . أو أى عدد من الناس معاً لوجدناها ٦٠٠ . .

ولن يتيسر للإنسان السيطرة على جسمه واستخراج طاقات عقله العظمى إلا بالرياضة ستة أيام فى الأسبوع . . ثم تليين الجسم وتطويعه ساعات كل يوم . . وإلا بالامتناع عن النشويات والحلويات والخمور والتدخين . وفى استطاعة كل إنسان أن يفعل ذلك من نفسه ودون أستاذ ، إلا إذا كانت آماله فى الصفاء النفسى والجلاء العقلى هائلة . . وإلا إذا كان يريد أن يكون صوفيًّا أو زاهداً فى هذه الدنيا ـ وإن من الضرورى أن يزهد الإنسان بعض الوقت فى بعض دنياه !

وإذا كان عقلك روض جسمك ، فلا تنس أن جسمك هو الذى يروض عقلك أيضاً ـ فأنت السيد والخادم ، وأنت العصا وأنت المضروب . . وأنت المنتصر والمنهزم معاً . . فأنت فى صراع من أجل أن يتحقق الانسجام بين الذى تلمسه بيديك وبين الذى ينقل إليك اللمس ومعنى اللمس ومعنى هذه الحياة . . فى حدودها الضيقة : أى جسمك . . أو حدودها الواسعة : أى مجتمعك . . وحدودها المطلقة : أى فكرك !

لاتظن أن هذه خاصة بأناس فى الشيخوخة . أو أناس على المعاش . .

إنما هى تعنيك فى أية سن أنت . فالإنسـان الذى يرى أناساً يجرون فى الشارع م يترك ما فى يده ويلحق بهم دون سبب واضح . ليس واعياً . .

إن العدوى قد انتقلـت إليه . . إن هذا الإنسان هو عبـد لما يراه . . عبد ـذه العبارة : الناس يجرون فى الشارع . ولا بد أن تجرى معهم ووراءهم . .

وليس من العقـل أيضاً أن ترى الناس يجرون ولا تلتفت إلى ذلـك كأن شيئاً يحدث . . وإنما العقل هو أن ترى وأن تتأمل وأن تتوقف طويلا أو قصيراً . . لمهم أن تتوقف . وأن تفعل شيئاً .

إن أكثر الناس يفعلون بالضبط مـا يفعله بطلا مسرحية « فى انتظار جودو » لتى ألفها صمويـل بيكت . ففى نهاية كل فصل تجد أحـدهما يقول للآخر : ميـا بنـا ننهـض . . ويـرد عليـه الثانـى : نعـم . هيـا بنـا ننهـض . . ثـم لايتحركان !

إن هناك أشياء كثيرة تستـأهل أن تنهض من أجلهـا ووراءها . . إن هناك قدرات عقلية تجعل الإنسان يرى الإنسـان أبعد وأعمق . . يرى الغد وأبعد ـ كما سوف نرى !

فليس عندك وقت
ولا صبر ولا رغبة

عند مدينة طيبة وقف وحش يعترض الناس . الوحش له رأس وصدر امرأة وجسم كلب ، وذيل أفعى ، ومخالب أسد وصوت إنسان الوحش اسمه أبو الهول . وهو يسأل الناس أن يحلوا له لغزاً . والذى لا يقوى على ذلك يقتله فوراً . اللغز هو: ماهو الحيوان الذى يمشى على أربع فى الصباح ، وعلى اثنتين فى الظهر ، وعلى ثلاث فى الليل ؟ !

وقتل الوحش مئات من الناس . حتى أعلن الملك أن التاج وابنته الجميلة مكافأة لمن يقضى على هذا الوحش . والقضاء عليه هو أن يحل الإنسان هذا اللغز . فإذا حله ألقى أبو الهول بنفسه إلى الهاوية . وجاء الفتى أوديب وقال له : عرفت حل اللغز . . إن هذا الحيوان هو الإنسان : الذى يحبو على أربع فى طفولته ، ويمشى على رجلين فى شبابه ، ويتوكأ على عصا فى شيخوخته . . وانتحر أبو الهول !

* * *

ولو كان أبو الهول هذا حيًّا اليوم لجعل الفزورة أصعب فقال : ما هو هذا

الحيـوان الذى يمشـى بلا رجلين ويطير بـلا جناحين ، ويستحضر الماضـى والمستقبل دون أن يتحـرك من مكانـه ، ويرى ماوراء الجدران ، ويسمـع مالا وجـود له ويلـوى الحديد دون أن يلمسـه ، ويكتشف الماء والبترول بـأصابـع قدميه . . من المؤكد أن هذا الحيوان هو الإنسان !

ففى استطاعـة بعض الناس أن ينهض من فـراشه ليلا فى حالـة فزع يقول لك : لقد أصيب أخى فى حادث سيارة !

ويكون أخوه هـذا فى أمريكا وبينهما ألوف الأميال . وتجىء البرقيـات تؤكد هذا الحادث . . أو تنهـض الأم من فـراشها فى حـالة فـزع وتنطلق إلى الغـرفة الأخرى لتدرك طفلها قبل أن يقع من السرير . . أو يمشى إنسان فى الصحراء ويمسك عصاه ويدق الأرض ويقول : هنـا ماء عذب . . أو هناك بترول على بعد مئات الأمتار . . ويجىء من يحفر الأرض فيجد الماء أو البترول !

فما هذا الذى فى « داخل » الإنسان . . وأين هـو هذا « الداخل » . . أين فى عقله ؟ فى قلبـه ؟ فى مكان ما من جسمـه . . أو مكان ما فـوق جسمه أو حولـه . . ما هذا الذى يـراه الإنسان إذا تعاطـى عقاقير الهلوسة . . مـا هذه الأشجار والحيوانات . . وأين هذه الأنهار . . وكيف أن الأشياء يتحول بعضها إلى بعض فيكـون الماء حيواناً والحيوان جبـلا والجبل نهرًا والكل أنغام مـوسيقية . . كيف تتحول الصور إلى أصوات ، والأصوات إلى صور . أين ؟ وكيف ؟

* * *

وإذا تعاطى الإنسان حبوب « توسيـع المخ » وإلقاء حدود العقل إلى الوراء تظهر حيوانات متوحشة وكهوف ، وأنـاس بدائيون . . من أين جاءت وكيف ولماذا ؟ هل العقل الإنسانى غابة مليئة بكل أنواع الوحوش ، والنجوم لها عيون

من نار عيون بلا رءوس بلا أجسام ؟ هل هو محيط وفى المحيط حيوانات بحرية تأكل بعضها البعض وتأكل الإنسان فى النهـاية . . هل العقل الإنسانى غابة بـرية بحـرية جـوية متجمـدة ، ولكن الحيـاة تنفجر فيهـا جميعاً عنـد الخوف والغضب ؟

* * *

إن علماء النفس وعلماء الروح هم رواد الفضاء الداخلى للإنسان . . وككل رواد الفضاء لابد لهم مـن صواريخ تحمل سفنهـم إلى الفضاء الخارجى . . أو الفضاء العميق للعقل الإنسانى . .

إننا فى حياتنـا العادية لاندرك هـذا كله . . وإنما هى لحظات أو سـاعات ننطلق فيها إلى أبعد مما اعتاد العقل فى نشاطه اليومى . .

شىء غـريب يحدث لنا عنـدما يكون كل مـا حولنا هـادئاً مظلماً . . ضع رأسك على المخـدة فى هدوء وظـلام تام . فـإذا لم يجئ النوم فما الـذى ترى أو يتراءى لك . . مـا الذى تسمع أو يخيـل لك ذلك . . مـن أين جاءتـك هذه الصور وهذه الشعاعات الهاربة هنا وهناك . .

لقـد أجرى علماء النفـس تجاربهم على أسرى الحرب الكوريـة . . ليعرفـوا بالضبط ما هى طبيعة عمليات غسل المخ . وغسل المخ هذا له أشكال عديدة من بينها أن يـوضع الأسير فى زنزانة وحـده . وهو وحده مع الصمـت والظلام والعزلة وكل مخاوفه القديمة ، وكـل مخاوف الإنسانية . . وهذا العزل التام هو الذى يطلق عليه تلك الوحوش الكـاسرة فى أعماقه نهارا أمامها ، أو أمام نفسه . وبعد ذلك يسهل تشكيله وتطويعه واعترافه بكل شىء !

شيء آخر عجيب يحدث للجنود الذين يرابطون فى أماكن نائية وحدهم فى الصحارى أو فى القطب الشمالى أو فى البحار الجنوبية . هؤلاء الجنود يعجزون عن رصد الطائرات المعادية ـ وعلى الرغم من أن الطائرات المعادية تظهر على شبكات الرادار ، فإنهم لايرونها . لماذا ؟ لأن العقل الإنسانى إذا لم يجد ما يشغله . وإذا لم يكن هذا الذى يشغله منوعاً مثيراً منعشاً ، فإن هذا العقل يضطرب . فإذا نظرنا إلى ما يفعله الجندى الجالس ليلاً ونهاراً فى صمت وعزلة وظلام أمام شبكة الرادار فى انتظار بقعة بيضاء تظهر عليها . . وأن هذا العمل يستمر أياماً ، أدركنا أن العقل لابد أن يختل إذا تركزت كل قدراته الهائلة على رؤية بقعة متحركة ، تجيء أو لا تجيء !

وكذلك سائقو اللوريات فى الشوارع الطويلة . كثيراً ما اصطدمت سياراتهم . ليس فقط لأنهم ينامون من التعب . ولكن لأنهم يرون أشياء غريبة تقفز أمامهم . ويحاولون تفاديها فتقع الحوادث . مع أن هذه الحيوانات التى يرونها ، لاوجود لها .

وفى بحث أصدرته جامعتا السوربون وهارفارد عن متاعب الطيارين وسائقى السيارات والجنود فى المناطق المنعزلة جاء : أن سائقى اللوريات يرون فجأة مايشبه العنكبوت الأحمر على الزجاج ، ويرون خيولا وأبقاراً وكلاباً على الطريق . . مع أنه لا وجود لها !

وهذا بالضبط ما يحدث للرهبان أيضاً فى صوامعهم . فالراهب يقضى الأيام الطويلة يشرب السوائل . ولا يتحرك ولا يسمع شيئاً . وفجأة يخيل للراهب أنه رأى ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على باله قط . ويعرف الراهب أن هذه جميعاً نتيجة طبيعية للعزلة أو للصفاء النفسى ،

أو تجريد نفسه من كل ما حوله مما يلفت العين والأذن والأنف والأصابع . .

* * *

وجاء فى بحث جامعتى هارفارد والسوربون : أن أكثر متاعب الناس فى العصر الحديث سببها : الشعور بالعزلة والصمت الرهيب . ولذلك فإن كل وسائل النشر والتسلية فى العالم قد اتخذت لها عدوًا واحداً لا شريك له هو : الملل . . فهى تقضى على الملل بكل القصص والمسلسلات البوليسية والأغانى والإعلانات . وقد أسرفت شركات التليفزيون فى التنبيه العنيف حتى ليخيل إلى من يراها أن الذين يظهرون على الشاشة يوشكون أن يمدوا أيديهم فيصفوا المتفرجين أو يطلقون سيقانهم ليركلوهم حتى لايناموا . . أو حتى لا يستسلموا للملل .

ففى العصر الحديث نجد أن الإنسان ممنوع من أن يكون وحده فى صمت . ممنوع أن يتأمل . وإنما المطلوب هو شفاؤه من أعراض الانفراد والفردية والتأمل، وإنما يجب أن يكون مع الناس ومثلهم تماماً !

هناك تجربة معروفة فى أمريكا لطبيب اسمه د . للى . هذا الرجل أعطى لنفسه بعض العقاقير ، التى توسع حدود المخ وآوى إلى غرفة مظلمة هادئة : فلا شىء يراه ولا شىء يسمعه . وظل أياماً وكان يجلس إلى جواره طبيب آخر وفى نفس الظروف . وفى أحد الأيام سأل أحدهما الآخر : هل تعتقد أننا متنا ؟

ومما قاله الطبيب للى إنه أحس أن جسمه قد خف وزنه . وأنه هو انفصل عن الجسم . . وهو لايعرف بالضبط ما الذى انفصل . . وإنما كأنه هو كان حبيس زجاجة . انفتحت الزجاجة وطار الدخان . ولكن ما تزال له صلة

بالجسم . . بل إنه كان يحس أنه ينظر إلى جسمه . . وقد تكوم فى إحدى الغرف المظلمة . ولا يعرف ما هى بالضبط العلاقة التى تربطه بهذا الشخص الذى اعتاد النظر إليه . . ثم لاحظ أنه يستطيع أن يتحرك فى أى اتجاه وأن يذهب إلى الماضى فيرى نفسه طفلا . وأن يتجه إلى المستقبل فيرى نفسه يموت تحت عجلات إحدى السيارات ـ وهذا ما حدث له بعد ذلك بعشرة أعوام . ويقول د . للى : إن الجديد عليه تماماً أنه رأى اثنين من الناس . . أو من الملائكة أو من الشياطين أو من الأرواح . . لا يعرف . إنهما اثنان بلا رأس ولا عنق . . ولكن لهما عينان مطبقتان . . وقريبان منه وينصحانه معاً بأن يفعل كذا أو لا يفعله وهذان الاثنان عن يمينه وشماله . . وعندما دخل جسمه هو ، تماماً كما يدخل السائل الموجود فى حقنة إلى جسم الإنسان . . أو كما تدخل أنت فى ملابسك . . اختفى هذان الشيئان اللذان لا وزن لهما ولا لون . . وإنما كالدخان الأبيض الشفاف . .

وفى تجربة أحد الرهبان الهنود أنه سمع أصواتاً عجيبة من بينها : لا تدخل هذه الغرفة . . لاتطلب التليفون رقم كذا . . الجماعة سافروا . . ابنهم الوحيد مات . .

ومن العجيب حقًّا أن هذا الراهب كان على جبل الهملايا بالهند . . أما رقم التليفون الذى يتحدث عنه والذى قال إنه يدق ولكن أحداً لايرد فهو تليفون فى عيادة د . للى . . . وأما الابن الوحيد الذى توفى فهو د . للى أيضاً . . وهذا الراهب يسمع ذلك فى صومعته على بعد عشرة آلاف كيلو متر . . وهو لم ير د. للى هذا من قبل !

كيف تكون الرؤية عن بعد ؟ وكيف يكون السماع عن بعد ؟ وما

هذه القوة الهائلة الموجودة فى العقل الإنسانى عند بعض الناس ؟

* * *

ثم أخيراً تجربة ذلك الشاب يورى جيلر إنه قادر على أن يلوى المعادن جميعاً بمجرد أن يمر بأصابعه عليها . . وهو يطلب عادة إلى أى إنسان أن يمسك شوكة أو سكيناً ثم يلعب هو بأصابعه من بعيد ، فإذا المعادن تلتوى . . والعجيب أنه يستطيع أن يفعل ذلك عن طريق التليفزيون أيضاً . . فيركز عينيه على المشاهدين الذين لايراهم ـ وهذا عجيب جدًا ـ فإذا بعض الخواتم أو الملاعق تلتوى . .

وقد ذهبت سويدية إلى القضاء تطالب بإلقاء القبض عليه لأنها حملت . وكانت قد قررت ألا تحمل . أما الذى حدث فإن جيلر هذا استطاع أن ينظر إليها ويمر بأصابعه من بعيد على جسمها ، فالتوى اللولب الذى وضعته لمنع الحمل ، فحملت !

فهل هو العقل وحده ؟ هل هى خلايا العقل التى تكمن فيها هذه القدرات الخارقة ؟ هل هو الإنسان وحده الذى يملك كل هذه القدرات الإبداعية ؟

إذن كيف نفسر هجرة الطيور ألوف الأميال من مكان إلى آخر دون أن تخطئ ودون أن تكون قد ذهبت إليه قبل ذلك . . إن طيور السمان التى تجيء إلى شواطئ الإسكندرية وشمال الدلتا تهاجر من أوربا . . أكثرها لم يجئ إلى مصر قط . . ولكنها تجيء . كيف ؟ هل تهتدى بالنجوم ؟ هل بمغناطيسية الأرض؟ هل بملوحة بخار الماء ؟ هل بشكل الأرض ؟ لا أحد يعرف بصورة مؤكدة .

وكذلك الأسماك فى المحيطات كيف تهاجر ألوف الأميال دون أن تخطئ . . بأى شىء تهتدى ، على أى شىء تعتمد . . إن أحداً لايعرف . . فأين تكمن هذه القدرة على الاتجاه ؟ وأين تكمن تلك الساعات التى تدق فى رءوس الطيور والأسماك تعلن موعد الهجرة وموعد العودة إن كتبت لها الحياة . . لقد حاول العلماء وضع صفائح مغناطيسية على الطيور والأسماك لكى تشوش عليها . . ولكن الطيور والأسماك وصلت فى نفس الموعد إلى نفس المكان .

أبسط من ذلك : ما هو هذا العقل الموجود فى الحيوان المنوى ويجعله يتحرك ليبنى إنساناً كاملا فيه صفات الأم والأب . . ما الذى يجعل خلية مختلفة فى حركتها عن خلية القلب وخلية الكبد ؟ من الذى يفرز هذه الخلايا ؟ من الذى يحركها جميعاً فى تناسق رائع . . أين هى القيادة . . ما هو مايسترو ملايين الملايين من خلايا الجسم الإنسانى . . ينظمها ويوجهها ويخصصها وينميها ويجمعها فى هذا الإطار المعجزة . . وكذلك خلايا النبات . كيف ؟

* * *

هل كان من الضرورى للعقل الإنسانى أن يبدأ بأبسط الأشياء ليعرف أصعبها . يتساءل عن سر الخلية ثم بعد ذلك يتجه إلى سر العقل وسر الكون . . هل الإنسان تجاوز حدود قدراته ؟ نعم ؟ الإنسان حيوان أكبر مما يتصور . . الإنسان حيوان يفرز أعقد الأسئلة وأكثرها غموضاً . . فالإنسان يتساءل : أين هو الله ؟ مع أن الإنسان لم يجب بعد عن ما هى الخلية . .

هل من الضرورى أن يقف الإنسان عند حدوده الجسمية . . هل يقف عند « الجزمة » كما تقول الأسطورة اليونانية . يقال إن فناناً اسمه ابلليس كان يرسم لوحاته ثم يتوارى خلفها ليسمع ما الذى يقوله الناس عنه وعنها . وفى يوم جاء

صانع أحذيـة . ونظر إلى اللوحة فوجد أن الحذاء أكبر مـن القدمين . فقال : عيب اللوحة أن الذى رسمها لايفهم فى صناعة الأحذية . .

وفى اليوم التالى عاد صانع الأحذية ليجد أن الفنان قد أصلح الحذاء . فقال صانع الأحذية : الحذاء الآن أحسن . . ولكن لون الشعر لايعجبنى . !

وهنا صرخ الفنان وراء اللوحة وهو يقـول : كفى ! لا ترتفع عن الحذاء من فضلك اعرف حدودك !

ولكـن الإنسان لا يعـرف لـه حـدوداً . . لأن العقل بـلا حـدود . وحيرة الإنسان بلا نهاية ولكن الذى يبهر الإنسان ليس خارجاً عنه إنه هنا فوق كتفيه فى هذه الغرفة المظلمة التى هى مصدر النور لحياتنا : هذا الرأس وما به من مخ أو من عقل أو من وجدان أو حكمه . .

أيها الإنسان أنـت أكبر وأعظم وأروع مما تتصـور ولكنك لا تـدرى . . فلا عندك وقت ولا عندك صبر ولا لك رغبة . فأنت ضحية دنياك الضيقة !

المحتويات

رقم الإيداع : ١٩٨٩/٨٦٩٠
الترقيم الدولى : ٢ ـ ٣٨١ ـ ١٤٨ ـ ٩٧٧

مطابع الشروق
القاهرة ٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت ٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت . ص ب ٨٠٦٤ ـ هاتف ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس . ٨١٧٧٦٥ (٠١)

كيف تكون الرؤية عن بعد؟ وكيف يكون السماع عن بعد؟

وما هذه القوة الهائلة الموجودة فى العقل الإنسانى عند بعض الناس؟

هل هناك «لعنة» حقيقة؟ وما معنى كلمة «لعنة»؟..

هل هى تعويذة سحرية.. هل هناك حروف يمكن تسليطها على الناس؟

هل للحروف قوة على الأشياء والناس؟ هل للحروف «خدام» كما يقول

رجال الدين وعلماء الروح؟ هل هؤلاء الخدام قوة غير إنسانية.. قوة

شيطانية؟

كل ما حدث هو أن واحداً على مليون من الجرام من مادة كان

يقوم بتركيبها قد علق بأصابعه.. ولمست أصابعه شفتيه.. فكانت

هذه الهلوسة.. ومن يومها والعالم يعرف هذا العقار الرهيب الذى

اسمه: ل. س. د.. فهل لعنة الفراعنة شىء من ذلك؟

لهذا كانت لعنة الفراعنة من عجائب الآثار والعلوم والطبيعة والكيمياء

والطب والسحر..

6 221102 002332

وفى اللغة الفرعونية القديمة كلمات كثيرة تدل على أن الموت ليس إلا نوماً..

أو انتظاراً ليقظة أطول وأروع - أى يقظة مروعة أو رائعة.